

إِحْيَاءُ مَنْهَجِيَّةِ

النَّظْمِ الْأَوْسَطِ

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمكن مراسلة المؤلف على العنوان التالي info@goraba.net

الناشر: مركز الإبداع الفني للدراسات وخدمة التراث

اليمن - عدن ص.ب: ٧٠٠١٤

إِحْيَاءُ مَنْهَجِيَّةٍ

النَّبَطِ الْأَوْسَطِ

مِنْ

سَادَةِ الصُّلَحِ وَبَقِيَةِ السَّيْفِ

وَبَرَاءَتُهُمَا مِنْ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ الْمُسَيِّسِ

عن عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيِّ بْنِ طَالِبٍ:
يَا عَلِيُّ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ زَيَّنَكَ زِينَةً لَمْ يُزَيِّنْ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْهَا: الزُّهْدُ فِي
الدُّنْيَا» [أسد الغابة: ١٠١ / ٤].

بقلم خادم السلف

أَبِي بَكْرٍ الْعَدَنِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الْمُشْهُورِ



المطلع القرآني

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

[سورة الحاقة: ١٠-١١]

المطلع النبوي

• «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِ أَوْلَاهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقَاتِلُونَ أَهْلَ الْفِتَنِ».

أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة ٥١٣/٦)

• «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ كُلِّ بَدْعَةٍ كَيْدٌ بِهَا الْإِسْلَامُ وَلَيَأْتِيَنَّ مِنْ أَوْلِيَائِهِ يَذُوبُ عَنْ دِينِهِ».

رواه أبو نعيم في (الحلية) عن أبي هريرة

المطلع الأبوي

١- «بَقِيَّةُ السِّيفِ أَنْمَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وَلَدًا».

٢- «خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ... يُلْحَقُ بِهِمُ النَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ

الغالي» وفي رواية: «...الغالي».

الإمام علي بن أبي طالب، مصنف ابن أبي شيبة (٧: ١٠٠)

٣- «مَنْ حَمَلَ السِّيفَ مِمَّا آلَ الْبَيْتِ قُتِلَ بِهِ».

الإمام الحداد

٤- «إِنْ كَسَرْنَا السِّيفَ بِالِاخْتِيَارِ كَانَ مَوْقِفًا وَاعِيًا لِمَا قَدْ سَبَقَهُ مِنْ قِطْعِ

رُؤُوسِ آبَائِنَا دُونَ اخْتِيَارٍ».

ناطق المرحلة

شاهد الحال

«يا أَيُّهَا النَّاسُ.. أَحِبُّونَا حُبَّ الْإِسْلَامِ.. فَمَا بَرِحَ بِنَا حُبُّكُمْ حَتَّى صَارَ عَلَيْنَا عَارًا».

وفي رواية: «أَحِبُّونَا حُبَّ الْإِسْلَامِ.. فَوَاللَّهِ مَا زَالَ بِنَا مَا تَقُولُونَ حَتَّى بَغَضْتُمُونَا إِلَى النَّاسِ».

علي زين العابدين ابن الحسين رضي الله عنهما
(الطبقات الكبرى) لابن سعد (٢١٤/٥)

الموقف الذاتي من الأحداث

كان لابد من التمييز بين الإفراط والتفريط وإدانتها، كما أنه لابد من إبراز مفهوم الاعتدال المشروع على منهج النمط الأوسط وإحيائه، وأهم من ذلك كله تحديد خطورة التسييس في كافة الأطراف واستثمارها، وهناك ومن خلفها يقبع المسيح الدجال.

ولهذا لابد من التمييز بين موقفنا من التشيع الإيجابي وبين التشيع القائم على الرفض والتبرّي واللعن والإباحة والاستباحة.

والتشيع الأساسي مقبولٌ بشروطه، والتشيع السياسي مُردودٌ بشبهاته، شأننا من ذلك شأننا مع منهج أهل السُّنة الأساسي - ونحن جزءٌ منه - ومنهج أهل السُّنة السياسي؛ ولنا موقفٌ منه.

فموقفنا هو موقف الاعتدال إن شاء الله من طرقي الإفراط والتفريط، سواء في المذهبية أو التصوف أو حب آل البيت، ولكل مقام مقال.

وقد نهى الله الأمة عن الجدَل، وفي ذلك يقول المعلم الأعظم رحمته الله: «ما صَلَّ قومٌ بعد هديٍّ كانوا عليه إلا أوتوا الجدَل».

والعاقبة من الجدَل في اتباع النمط الأوسط كما قال الإمام علي رضي الله عنه.

الإهداء

إلى سادتي آل البيت الكرام، وأخص سادة الصلح الواعي وبقية السيف..
وإلى أبنائهم وأحفادهم وأسباطهم في أنحاء العالم أجمع..
وإلى عموم المحبين من طرفي الإفراط والتفريط والاعتدال..
لقد آن الأوان للنظر الجاد في (سفن النجاة) فالطوفان قادم..
وآن الأوان لكل ربان حاذق في هذه السفينة أن يجنب الرُّكَّاب خَطَرَ
الاصطدام، وخطر الأمواج، وخطر الحيتان المتربصة، وأكبر من هذا خطر
الاختلاف بين الرُّكَّاب..

﴿وَقَالَ أَزْكِبُ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا وَمُرْسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾ وَهِيَ تَجْرِي
بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْإِبْجَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ أَزْكِبْ مَعَنَا وَلَا
تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ..

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

مفتاح الباب لأولي الألباب

الحمد لله الذي قدّر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، والقائل
لنبيه ﷺ في تثبيت علم الوحي في صدره الشريف ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنسَى﴾ (١) ﴿لَا مَآشَاءَ
اللَّهُ إِلَهُهُ يَعْلَمُ الْغُيُوبَ وَمَا يُخْفَى﴾ [الأعراف: ٦-٧]، والصلاة والسلام على سيد أهل الآخرة
والأولى سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار
ومن تبعهم من هذه الأمة بإحسان إلى يوم العرض والاستقرار.

وبعد فإني أسأل الله التوفيق فيما أردت بسطه من إيضاحات مهمة على
هامش الطريق الطويل - طريق المسيرة الإيمانية للأمة الإسلامية في عصرنا -
المحاط بصنوف الأخطار والآراء المتنوعة محلياً وإقليمياً وعالمياً، وخاصة في
قضية (آل البيت)، وهي القضية التي تكاد أن تبرز على المحيط بمعانٍ تُثيرُ القلق
وتصنع الحسرة، مع أنها إحدى قضايانا التاريخية المسكوت عنها عند عقلاء
المنهج الأبوي، لا لأن السكوت أولى، ولكن لكثرة تناول المغلوط - سلباً
وإيجاباً - في هذه القضية^(١) فصار السكوت كما عبّر عنه الشاعر «والسكوت

(١) قد يكون تناول المغلوط سلباً فكيف يكون إيجاباً؟ والمقصود بالإيجاب أي: ما

يأتي من تناول المبني على الإفراط في المحب، والسلبى عكسها.

سلامة»، وطال أمد السكوت حتى استفاد المهندسون للقضايا من سكوت العقلاء وحولوا منه إحدى مواد الانفجار الطائفي في العلاقات بين المصلين.

وفي هذا الصدد أجد ذاتي ملتزماً - ما استطعتُ - أن أفتح باب الكلام داخل أقبية الصامتين من أحبائنا وأشياع مدرستنا العالمية لأبين ما أعتقد أنه الحق، غير ملزم أحداً بالاتباع أو الالتزام بما اعتقدته حتى يتبين له صدق ما توجهت إليه، فأنا لا أدعو إلى منازعة ولا عقوق ولا مقاطعة، وإنما أدعو - ما استطعت - إلى طريق الاعتدال الجامعة، والله على ما أقول شهيد.

إننا نحن المنتسبون لآل البيت عموماً قد وقعنا في محنة الاستتباع والانصياع لرؤيتين متعارضتين: إفراط المحبين، وتفريط المبغضين، وزاد الطين بلة فينا جهلنا المطبق بعلاقتنا الشرعية بمنهج سيد المرسلين من حيث مفهوم الاقتداء والاهتداء في قضايا الولاء والبراء، فصار الكل يندفع نحو الهاوية بلا تعقل ولا توازن، ولا من يقبض على حجز الشعوب وهي تنهافت في النار.

ولقد أعلن ﷺ يوماً عن هذه الحال الذي تُدمّر به الأمة نفسها عشية قوله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً فِي فِلاَةٍ فَجَعَلَ الْجِنَادُ بِهَا وَالْفَرَاشُ يَتَهَاوَتُونَ فِي النَّارِ وَإِنِّي قَابِضٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَهَاوَتُونَ فِي النَّارِ»^(١).

وهناك فرق بين رجال الحقيقة المغيبة وبين عنصري الإفراط والتفريط في تعليل وتفسير هذه الحقيقة على الساحة العالمية والمحلية، فالحقيقة القائمة على الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي هي مذهب المصطفى ﷺ وآل بيته الأطهار وصحابته السابقين الأبرار ومن سار على هديهم المشار إليه في مقولة الإمام علي رضي الله عنه وكرّم وجهه: «عليكم بالنمط الأوسط يتبعهم التالي ويرجع إليهم الغالي»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٣/١١) فتح، ومسلم في صحيحه (٣١٤/٢) والترمذي في سننه (٢٣٠/٤) وأحمد في المسند (٢٤٤/٢) والرامهرمزي في الأمثال (٢٦/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدُّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَرْعَاهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا».

(٢) سبق تخريجه.

وأما الأمر الدائر والشائع وحركة الواقع والقواقع فتدهورٌ وتهوُّرٌ، إلا مَنْ رَجَمَ الله، وهم قليلٌ من قليل، وليتَ الشعوب وشرائعهم المُتَقَوِّلَةُ قد قَبِلَتْ الواقع ورَضِيته لنفسها كما يرسمه لها مهندسو القضايا وزبانية المراحل، فعندها لا يهيمن الأمر بحال من الأحوال، ونحن قد رَضينا السكون والسكوت وخاصة بعد أن نفّض العديد من مَحَلَّة قرار العِلْم والحُكْم أيديهم عنا نحن أهل البيت، واستأثروا بالقرآن والسُنَّة والدعوة وهداية الشعوب، وصاروا يحذِّرون الناس من ذواتنا الحيَّة وأجدائنا الميِّتة، حرصاً - كما يقولون - على سلامة العقائد، والموت على سياسة التوحيد، أو على كلمة التوحيد، والله أعلم.

ولأننا بين فكي كَمَاشَةٍ كما يُقال - إفراطُ المُفْرِطِينَ الغلاة، وتفريطُ المُبْغِضِينَ البُغاة - فالخُتُّ مشوبٌ بدخان الباطل، والشيطان يدفع بالجميع إلى حافة الهلاك، وهذا ما هو ملاحظٌ ومُشَاهَدٌ في شؤون الأمة، وفي شؤون علاقة الشعوب بقضية آل البيت منذ أن عَرَفْنَا أنفسنا في ساحة المعرفة بالاحتكاك الدائم في الواقع الرسمي والشعبي في الأوطان المتناقضة المجزأة.

إننا في واقع يجمع بين التحدي والتعدي، وهناك من يسعى بين هذا وذاك لإعادة تَبْشِ الجِرَاح، وتجنيد القلم واللسان والمال والحال للزَج بنا - آل البيت - في حَلَكَة صراعٍ ونزاعٍ، حربٌ عاطفية هو جاء تحوُّل حملة قرار الإفراط وقرار

التفريط اتخاذ الحُجَج ضد القابعين في دُورهم ومساجدهم للدفع بهم نحو معركة العَرَض والطلُّب التجارية في المرحلة المعاصرة، لإشعال وقود العرقية والطائفية على غير تبصرة ولا وعي ولا تذكرة ولا خوف من الله والدار الآخرة.

ولأننا قد عانينا مِنْ قَبْلُ هذه الظاهرة في مراحل التسويق للقضايا ما عانينا، وسُجِّلَ مِنْ مشايخنا وعلماؤنا مِنْ سُجُل، وقُتِلَ مِنْ قُتِل، وعُيِّبَ مِنْ عُيِّب، ولمْ نُصِلْ نحن وأشباهنا وأمثالنا من بقايا السيف وسادة الصلح إلى بَرِّ الأمان والسلامة إلا باتصالنا الواعي بأثمة سادتنا آل البيت الكرام، مِنْ حَمَلَةِ المنهج الأبوي النبوي المعتدل شيوخ النمط الوسط وسُفْنُ النجاة في طوفان التسييس والتدنيس، ولهذا فإننا نصرخ اليوم في وجوه الشر وأبواقه، وننادي أحفاد الشجرة الطيبة أينما كانوا وحيثما كانوا: احذروا اندفاع المحيين الغلاة، فهم أداة هدمٍ ودمارٍ، كما قَدْ حَذَرْنَا آباؤنا وعلماؤنا مِنْ انتفاع المُبْغِضِينَ البغاة مِنْ أذاقوا آل البيت وَمَنْ سار في طريقهم العذاب والنار في عصور الهتك والاستهتار، ولا زالوا خَلْفَ أَقْنَعَتِهِمْ قابعين بين الديار.

إنَّ هذه الوريقات التي تحمل وجهة نظري المتواضعة تهمُّ الراغبين في النجاة والسلامة فقط، وأكرر هذا القول: إنها تهمُّ الراغبين في النجاة والسلامة فقط، أما غيرهم فلا، ولكنها من باب إقامة الحجة وللعلم والإحاطة لا غير.

إنني أعلم بيقين أنَّ من أَل البيت اليوم ومن غيرهم مَنْ لا يرغب السلامة والنجاة من وجهة نظرنا، بل ربما اعتبر هذا العرض تدخلاً جباناً وجهلاً بيناً وانحيازاً في تحليل المواقف ولغة عاطفية خالية عن العقلانية الواعية.

وأستسمح لنفسي العُذر من كُل ذي علمٍ ووعي أصاب الحق وأخطأت في فهمه، كما أطلب الدعاء بالهداية ممن عرف الصواب وتحلى بصفاته وحقائقه، فلست بمتأخر عن صواب ولا مستعجل في فصل خطاب، والحقُّ أحقُّ أن يُتبع، وهو كذلك، وهذا ما يقوله الكثير، ويسعون - كما يقولون - في سبيل تحقيقه، ولكن الوقائع أثبتت سقوط العديد والعديد في مضلات الفتن، وبقي الشيطان في كل الأحوال هو المستثمر الحقيقي للمواقف والاتجاهات.

وبما أن الأمر هامٌّ وضروري، فإني أضع هنا ما استقصيته من مواقف سادتنا آل البيت الطاهر أنفسهم متجرداً عن اندفاع المحبين وشطط المبغضين، ومشدداً على مسألة التأمل الواعي لهذه المواقف مبتدئاً بتلك اللحظة المباركة التي وُضِعَ فيها رسول الله ﷺ لحافه على أهل بيته قائلاً «اللهم هؤلاء بيتي وحاميتي»، وفي رواية: «... وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالها ثلاث

مرات، قالت أمة سلمة: «فأدخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله: وأنا معهم؟ فقال: إنك إلى خير» مرتين^(١).

إن هذه الشجرة مباركة بإرادة الله، وإرادة الله فقط، ولن تقوم بركتها بإفراط المحبين، ولا تسقط قيمتها ببغض المبغضين، فهذان الطرفان يختصمان ويتنازعان، ويمحشان كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في معركة الصراع بينهما، كما يفسران حوادث التاريخ - التي كانا طرفاً فيها - وفق الأمزجة والعواطف والمصالح، مستثمرين (آل البيت) - كاستثمارهما للقرآن والسنة - وقوداً لإنجاح معركة البغض

(١) أخرج أحمد في المسند (٢٩٢/٦) من حديث عطاء بن أبي رباح قال: «حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأنته فاطمة بركة فيها خزيرة فدخلت بها عليه، فقال: ادعي زوجك وابنيك. قالت: فجاء علي والحسين والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحت كساء له خيربي قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿لَمَّا يُدْأَى اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله. قال: إنك إلى خير إنك إلى خير»، وأخرجه الترمذي في سننه (٣٢٨/٥)، والحديث له شواهد عن جماعة من الصحابة.

الطائفي والعرقي فيما بينها، ولو على حساب إخماس آل البيت أنفسهم،
فالتحدّي لا يسمح بالتنازل، كما أن التعدّي يخلط الحابل بالنابل.

إن المحب المُفَرِّط والمُبْغِض المُفَرِّط ذراعاً تسييسٍ هالكتان يخترقهما العدو
المستمر لإطالة رحلة العُربة بين المسلمين وإسلامهم، ولإضعافهم جميعاً
وإشغالهم عن لبّ الديانة وأهداف التدين، وقد نجح هذا المشروع أيّ إنجاح،
وبرزت فاعليته في العالمين العربي والإسلامي منذ زمن بعيد، واستفاد منه
الشیطان أيّ استفادة.

وبه ادعى المبغضون التزامهم بالكتاب والسُنّة، وأن التزامهم بها كافٍ
لوقوفهم بديلاً عن مفهوم الإفراط في العرقية والسيادة والتميز العرقي كما
يقولون، وادّعى المحبّون التزامهم في الإفراط بحُبّ آل البيت لأنهم حملة الكتاب
والسُنّة والثقل الأصغر، والجديرون بالورثة والخلافة والقيادة، فلعنوا وشذّوا
وستموا واستعدّوا وأحبّوا فَعَلُوا وأفراطوا وخطبوا وخلطوا..

والقرآن يحكي القضية المتناسكة بوصفٍ غير وصف الفريقين: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ آلُكَابِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّهُمْ يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا

يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩] والقوم الذين وكلهم الله بهذه القضية الثلاثية هم سُفُن النجاة^(١) ومن في دائرتهم؛ اللهم اجعلنا منهم.

فالكتاب والسنة معادلان يفتقران إلى المعادل الثالث، أما الإفراط فمعادل سيء، كما أن التفريط مثله في السوء والمصير، ولكن الآية جعلت المعادل الثالث هو (النبوة)، والنبوة هي الأخلاق المحمدية لا غيرها، ولا يحملها غير رجال النمط الأوسط ومن سار على هديهم ونهجهم، وكان منهم أئمة آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم، فقد رَوَى ابنُ عبد البر أنه لما احتضر الحسن بن علي رضي الله عنه قال لأخيه الحسين رضي الله عنه: «يا أخي: إن أباك استشف هذا الأمر فَصَرَفَهُ الله عنه، ووَلَّيَهَا أبو بكر ثم استشف لها وصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فَصَرَفَتْ إلى عثمان، فلما قتل عثمان بوقع ثم نوزع حتى جَرَدَ السيف، فما صَفَّتْ له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك»^(٢).

هذا موقف أحد رجال آل البيت الخلفاء وقد قرر أن يضع موقف آل البيت الحقيقي أمام الأمر الواقع فقال: «...ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة»،

(١) تقدم البيان في (سُفُن النجاة).

(٢) انظر الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٣٧٦، ٣٧٧)، تاريخ الخميس، الجزء الثاني.

وكانه يقول بلسان حاله وفعاله ومقاله: بأيها نضحي من أجل استمرار شرف الأمانة؟ فكان الجواب التضحية بالخلافة كقرار مقابل الاحتفاظ بشرف النبوة للاستقرار، فكان الأمر كذلك، ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فِيمَكَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] .

وأما أهل الإفراط فقد تجرؤوا على الحسن رضي الله عنه ذاته لما خالف رغبتهم في الحزب والثأر ساعة تنازله عن قرار الحكم وقالوا له: «يا عار المؤمنين» فقال لهم: «العار خير من النار»، وقال آخر: «يا مُذِل المؤمنين» فقال «لست بمُذِل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك»^(١)، وأيدت النبوة

(١) قال مالك بن ضمرة للحسن بن علي عليه السلام: «السلام عليكم يا مسخّم وجوه المؤمنين. فقال: لا تقل هذا. وذكر كلاماً يعتذر به رضي الله عنه، وقال آخر: يا مذل المؤمنين. فقال: لا ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك» وانظر المستدرک (٣/ ١٧٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٢).

هذه العبارة هامة جداً في تحديد القرار، وأنه لا يستحق التضحية بالشعوب.. وأي ملك كان يتحدث عنه الإمام الحسن آنذاك؟ هل هو ما ينازعه فيه الضد آنذاك؟ أم ما كان يفتقر إليه ليصل إلى امتلاكه؟

لقد كان الحسن متربعا على كرسي الخلافة وإماماً لها وللديانة وبيده بيعة القبائل وأهل الحل والعقد، ولا ينقصه تحييش الجيوش ولا آراء العقلاء والقادة، وإنما كان الأمر المتوقف عليه إصدار الأمر بالقتال.. فقط.. فماذا فعل؟ ومن الذي عارضه في قراره من

موقفه الشجاع: «إن ابني هذا سيدٌ وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين»^(١)،
فأي الموقفين أدعى للاتباع؟

وفي الجانب الآخر: يروى أن أهل الكوفة كاتبوا الإمام الحسين رضي الله عنه ودعوه للقدوم عليهم، وحملوه بيعة اثنا عشر ألفاً من شيعته في عنقه، وبعثوا إليه من يستثير مسؤولياته^(٢)، وكان الحسين رضي الله عنه قد خرج ومعه عبد الله

أجل الحل والعقد؟ هل يعقل أن يضع الجميع أيديهم في يده للبيعة والبيعة مسؤولية شرعية ثم يختار الإمام الحسن التنازل عن الحكم للامتلاك ويوقع الاتفاقية بما عرف بالصلح بين الفئتين المتقاتلتين؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٩/٦ فتح) وأبو داود في سننه (٢١١/٥) والنسائي في سننه (١٠٧/٣) سيوطي) وأحمد في المسند (٣٨/٥) من حديث أبي بكر.
(٢) في الطبقات لابن سعد (١٤٥/٥) عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه، وسمى طائفة، ثم قال: «فكتب جوامع حديثهم في مقتل الحسين قال: كان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، كل ذلك يأبى، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية، وطلبوا إليه المسير معهم، فأبى، وجاء إليهما الحسين فأخبره وقال: إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا، فأقام الحسين على ما هو عليه متردد العزم، قال: وقدم المسيب بن نجة وعدة إلى الحسين بعد وفاة الحسن، فدعوه إلى خلع معاوية، وقالوا: قد علمنا رأيك ورأي أخيك. فقال: أرجو أن يعطي الله أخي على نبته، وأن يعطيني على نيتي في حبي جهاد الظالمين.

بن الزبير من المدينة إلى مكة^(١)، وكان هناك من أبناء الصحابة من أشار عليه بعدم الخروج^(٢)، وقد أرجعهم الإمام الحسن رضي الله عنه من الكوفة إلى المدينة بعد تنازله إذ أنهم خَذَلُوا أباه، وَنَصَحَهُ بعضهم بالخروج إلى اليمن لأن فيها جُملة مِنْ أنصاره، ولم يُعرَف عنهم الغدر، ولكنَّ الحسينَ بعَثَ ابن عمه مسلم بن عقيل لاستطلاع أخبار العراق ولكنه قُتِلَ بعد أن عَدَرَ به أهل الكوفة كما توقَّع بن عباس وغيره^(٣)، والتقى الإمام الحسين في الطريق بالشاعر الفرزدق وهو قادمٌ

(١) في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٥): وخرج الحسين وابن الزبير لوقتها إلى مكة، ونزل الحسين بمكة دار العباس، ولزم عبد الله الحجر، ولبس المعافري، وجعل يحرص على بني أمية، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ويقول: هم شيعتكم. وكان ابن عباس ينهاه.

(٢) عن أشار على الحسين بعدم الخروج عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير في بادئ الأمر، وأبو سعيد الخدري، وكلمه جابر بن عبد الله، وأبو واقد الليثي، وعمره بنت عبد الرحمن الأنصارية، وعبد الله بن مطيع، بل قال ابن المسيب: لو أنه لم يخرج لكان خيراً له.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٩) في تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٢٩٦) للطبري، قال الحسين للفرزدق: بين لنا نبأ الناس خلقك. فقال الفرزدق: من الخير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية.

من العراق، فسأله عن أهلها، فقال: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»، ونصحه ابن عباس أن لا يخرج بنسائه، لكن الحسين أبى، وأراد أن يجنب الحجاز مآسي الاقتال، وجرى أمر الله كذلك، ولم يَنْجُ مِنْ هذه المذبحة إلا علي زين العابدين رضي الله عنه^(١) ضَمَّتْهُ عَمَّتُهُ السَّيِّدَةُ زَيْنَب بنت علي رضي الله عنها، وكان علي زين العابدين مريضاً في الفراش، ومِنهُ امتدَّ نَسْلُ رسول الله ﷺ مِنْ جِهَةِ الحسين رضي الله عنه، ومنهم سَلَفُنَا الصَّالِح من ذرية المهاجر أحمد بن عيسى.

ومثل هذا جرى مع الإمام زيد بن علي رضي الله عنه فقد قرَّر الخروج على هشام بن عبد الملك، وكان زيد شجاعاً مقداماً لا يقبل الضيم ولا يرضاه، ولكن الذين استعان بهم من أهل الكوفة تخلَّوا عنه في اللحظات الحرجة فواجه زيد رضي الله عنه جيش يوسف بن عمر الثقفي وحده ومعه قلة قليلة من المخلصين له حتى قُتِلوا جميعاً، وقُتِل من بعده بسنوات ابنه يحيى بن زيد بخراسان وعمره ثمانية عشر عاماً، وأضافت هذه المواقف دلالة جديدة على سلامة مواقف سادة

(١) وحسن بن حسن بن علي وله ذرية، وأخوه عمرو ولا عقب له، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عقيل، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين، وزوجته الرباب الكلبيَّة والدة سكينة، وأم محمد بنت الحسن بن علي، وعبيد وإماء لهم. انظر سير أعلام النبلاء (٣/٣٠٣).

الصلح وبقية السيف في حفظ الديانة والتزام الاعتناء بالأمانة حيث لم يظفر الخارجون بالمطلب ولم يجرد أمثالهم وأشباههم معهم السيف للحصول على مكسب من آل البيت.

إنها ناذج السلامة أثرت الآخرة على الدنيا، وأكدت لنا مفهوم الخلفاء الراشدين المهديين في الأجيال اللاحقة كثمرة متصلة الأسانيد بالمتبوع الأعظم ﷺ.

ألم يقل ﷺ: «عليكم بسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، فإن من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»^(١).

إذن وقد صدق رسول الله ﷺ وبرزت شواهد الاختلاف الكثير، وتناحرت الأسرة المسلمة تحت مسميات التجزئة والتفرقة والإفراط والتفريط ما أدى بالجميع إلى التلاف وإلى إضاعة الميراث الديني ذاته بذهاب أهله وقتلهم، فهل هناك من مخرج؟

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢٤/٤) وأبو داود (١٩٢/٥) والترمذي (١٤٩/٤) وابن ماجه (١٧/١) في سننهم، والدارمي في الجامع (٥٧/١) من حديث العرياض بن سارية .

مخرجنا أن نقتدي بما دعانا إليه الأب الأول ﷺ من التمسك بأسلوبه وهديه،
وطرائق معالجته القائمة على الرحمة والمحبة والسلام داخل المجتمع الإنساني
الواحد، ونقتدي بالخلفاء الراشدين المهديين، ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدَنَهُمْ
أَقْبَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والخلفاء الراشدون هم الأئمة والقادة فمن أخذ السند
والاتصال برسول الله ﷺ في علمه ومواقفه إلى يوم الدين.
فهل من مستجيب؟ اللهم آمين... فهذا هو موقف آل البيت الأئمة،
وهؤلاء هم أهل النمط الأوسط المشروع.

أهل الكساء رضي الله عنهم

هُم نخبة آل البيت الأطهار، ومقدمة العترة الطيبة التي حق للإسلام والمسلمين بها العزة الافتخار، نالت مرتبتها القعساء بفضل الله ورحمته ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ ذَلِكُمْ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ولم ينسأوا مقامهم بسلطان.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم فكانوا بأمره سفن النجاة للشعوب ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وهم بلا شك خاصة آل محمد الذين ألقى النبي ﷺ عليهم كساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١).

(١) فهم العلماء من سياق الآية أمرين: أهل البيت (ساكنوه)، أهل البيت (أهل

نسبه).

ومنهج من اعتبر التطهير جامعاً للأهل من النساء والأبناء والبنات، وهم من حُرِّم الصَّدَقة ومن سَكَنَ كزوجات معه، ومنهم من اعتبر التطهير خاص بالخمسة وهم:

وقد أخرج الله منهم الكثير الطيب، وأقام بهم حجته على خلقه، وجعلهم أئمة هدى وعلم في سائر الأزمنة والعصور، وخاصة في تلك الأزمنة التي كانت الأمة تملك فيه قرار الحكم والعلم والولاء، ثم انقطعت هذه الثوابت في العالمين العربي والإسلامي بانقطاع قرار دولة الخلافة، القرار الذي كان يحمي الحقوق ويقيم الواجبات في كل شؤون الدولة الإسلامية.

رسول الله ﷺ، وعلي رضي الله عنه، وفاطمة رضي الله عنها، والحسن والحسين رضي الله عنهما، وما تفرع منهم.

واتسع كلا الفريقين في شواهد الاستدلال، وأخرج ابن جرير الطبري عنه مرفوعاً بلفظ: «نزلت هذه الآية في خمسة: في علي وحسن وحسين وفاطمة» و﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولمسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها [انظر صحيح مسلم (٣٦٨/٢)] خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط من شعر أسود فجاء الحسن بن علي رضي الله عنه فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وللترمذي وقال: حسن صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحاميتي - أي: وخاصتي - أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير» [تقدم تخريجها].

وكان هذا الانقطاع الخطير تغير وتبدل وانقلاب في كل شيء يتعلق بالإسلام سواء في مستوى القرار أو في مستوى الاستقرار، ومن ذلك مسألة العلاقة بين آل البيت الكرام وبين المسلمين عموماً ومحنة القرار خصوصاً.

ونحن اليوم نجد العشرات من المؤلفات الجديدة المتكلمة عن آل البيت وحقوقهم وما يجب عليهم أن يكونوا عليه من التزام بالعقيدة والشرعية لما طرأ عليهم - كما يُقال - من استتباع لبعض الانحرافات المشار إليها في صحافة المرحلة بمسميات عديدة، هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد مدارس أخرى تنتحب وتصرخ وتولول على حُب آل البيت وحسن التعلق بهم، والبكاء عند ذُكرهم، وضرب الصدور والوجوه في ذكريات مقتلهم وإبادةهم، وتنسف بعد ذلك كل ما تعيشه الأمة منذ عهد الخلافة إلى هذا العصر الغشائي على رؤوس المسلمين باسم آل البيت المظلومين، وبالبدية يصير الأمر كله لدى مثل هؤلاء معلقاً بعودة آل البيت إلى موقع القرار ولو على جماجم الشعوب ودماء الأمم.

وينتظر الكل ساعة المواجهة بين الفريقين، وهي ساعة قادمة بلا شك، ولا يعلم موقعها ومركزها إلا الله، وأكثر ما نلاحظه في خصوصيات الحياة العامة تسعير المشكلة وجعلها ورقة تأثير وإثارة بين قوتين مجتمعيتين من جهتين:

الأولى: قوى الشر في العالم وما تعمله من رعاية المتناقضات وتسييسها
لخدمة السياسة الأنوية في العالم.

والثانية: حملة وجهة النظر المعاكسة من طوائف المسلمين وتأجيج نار الحقد
بينهم وزعزعة الاستقرار ليوم التصفية والتأثر.

ولأننا قد أشرنا بأن آل البيت هم خط النمط الأوسط غير هذين الخطيين،
فالمسألة ليست على علامتها، وأتمنى أن يدرك بعض القراء حقيقة هذا الأمر، أما
كل القراء فلا، فالغالبية يقرؤون كل شيء بعين انتباههم فيختلط عليهم الأمر
ولا يصدقون ما يدهمهم على حقيقة أو من يهديهم بصدق عليها.

وتظل المشكلة قائمة مع كل مرحلة وجيل لأن كل جيل قد قرأ أحداث
التاريخ ومواقفنا عنه من خلال الواقع المسيس ذاته، فجاءت المفترقات
والمخرجات من ذات النوع والصفة للأسف، وإننا هنا نقول للجميع: إلى متى
ونحن في المغالطات؟ وإلى متى وفقهاء المغالطة حيثما كانوا يتحركون في الضوء
أو في الظلام لحقن الشعوب المسلمة بفقته المغالطة في كافة ما ورثوه وعلموه
وتعلموه وعبدوا الله عليه، وما أحبوه وما أبغضوه، مع أن خلف هؤلاء الفقهاء
يَقِفُ الثلاثة الحلفاء (بالحاء): الشيطان، الدجال، الكُفَر وسامرته، وسماسته هم
الكُفَّار والمنافقون.

لقد أشيع فقهاء المذاهب الإسلامية كُتِبَ العلم في شأن العقائد والعبادات والمعاملات والجنايات والأنكحة والموارث، واختلفوا في هذه المسائل استناداً إلى فهم النصوص والأحجيات الشرعية، وقَبِلَت الأُمَّة اختلاف العلماء، وَعَبَدَتِ الله تعالى، وأقامت قوانين الشريعة على ما بُنِيَ مِنْ اجتهاد أولئك المنصفين، لا المرجفين.

وَمِنْ الخطأ الفادح أن نربط بين فقهاء العبادات والمعاملات وغيرهم - في ديننا - بهذا الثلاثي الخطير، ولكن الحقيقة أن فقهاء الديانة يختلفون في المواقف الفقهية، فمنهم فقيه أمانة ومنهم فقيه خيانة، وَرُبَّ حامل فقه ليس بفقيه.

ومن فقهاء الخيانة (فقهاء المغالطات) وهم صنفان في مدارس الولاء والبراء: صُنِفَ تَمَجُّجٌ بالفقه نحو أقصى درجات الإفراط، وصُنِفَ تَجَمُّعٌ بالفقه لأقصى درجات التفريط.

وهؤلاء هُمُ رُشُلُ الثلاثة الخلفاء، والداعمون لسياساته في الشعوب المسلمة سواء كان الفعل منهم يعلم وإدراك أو كانوا على حال من الحماية والسداجة والانتصار للطباع والفهوم الذاتية.

وحيثما أطل المسلم الواعي في هذه العصور القريبة على الأمة الإسلامية وخرجت علاقاتها سيجد أن تسييس (الثلاثة الخلفاء) قد احتضن طرفي الإفراط

والتفريط في العالمين العربي والإسلامي وأطلق لها حرية الحركة والتفاعل مع الظروف، وجعلها مظهر الحركة الفاعلة في أساس العلم أو الحكم باسم الإسلام.

الثلاثة الحلفاء وموقع فقهاء المغالطة من خدماته

مهمة آل البيت من أسماهم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (بقية السيف) - ومثلهم سادة الصالح الواعي - هو إبراز خطورة الحاضر والمستقبل عندما تختدم الأمور، ويجلب الشيطان على الجميع بخيله ورجله؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، حيث إن الإفصاح عن الأمر والإيضاح يسهم في إجلاء حماية العقول والقلوب لمن كان في عماية، أما التعمد والمشاركة في استئثار أو في عائدات استئثار الشعوب والعقول والقلوب فلن يتراجع، ولن يكون له نصيب من توبة، لأنه يدرك حجم العمالة التي يستثمرها ويستلم عائداتها على حساب المظلومين عموماً وليس فقط على حساب من يسمونهم بـ(المظلومين من آل البيت).

فآل البيت - وإن كانوا مظلومين - لا يرجون النصرة إلا من الله، ولا يبحثون عن نصير يعيش على حسابهم ويأكل ويشرب ويحكم ويتخير في الأرض باسمهم على دماء الشعوب والكذب على علاّم الغيوب، إلا إذا كان سيعيد ذواتهم إلى عالم الحياة فيستمتعوا بالحق المفقود ويحققوا وعد الله الموعود، وتلك مسألة أخرى.

أما غير ذلك فلن يكون هذا الداعي - في قاموس الديانة - إلا شيطاناً، أو أحد عملائه، أو أحد وكلائه في العالم الإنساني، وهؤلاء مجهزون بكافة وسائل الاكتساح والاجتثاث لحرق الأخضر واليابس في المستقبل القريب، ومعهم كثير من جنودهم وأشياعهم وأتباعهم من ضحايا آل البيت المغرر بهم والمتقفون ثقافة الأنظمة والمؤسسات والجمعيات والجماعات ممن احتواهم الإبلis لمراحل الخدمات (الثقافة المتحولة) وقد سبق لهذا النموذج الخدماتي في صورته المقابلة لهذه الصورة الجديدة أن يكتسح المرحلة المعاصرة باسم الكتاب والسنة وباسم التوحيد الخالص النقي عن الشوائب كما يقال، وتحقق بهذا الاحتواء كل شيء رسمه (الثلاثة الحلفاء) في مشروع الغنائية المتأسلم.

لقد نجحت الثقافة المتحولة في تحجيم موقع آل البيت وإقصائهم مع مؤسساتهم الأبوية التقليدية ثم إدانة الثقافة الأبوية وتشويه حقائقها لتصبح شرّاً وكُفْراً وبدعةً وضلالة، وليبرز بالضرورة (فقهاء القصة) - وهم البديل المهيأ - لنشر الثقافة المتحولة (فقه المغالطة) التي هي ربيبة الدجل والتمويه وقلب الحقائق، وتم ذلك بنجاح، وتحقيق كامل الأرباح في سوق الأبلسة العالمي والإقليمي والمحلي، واحتشد العسكر من سائر الفئات الاجتماعية، ومنهم جزء من آل البيت الضحايا الذي كان حظهم التعليمي والثقافي جزءاً من

مشروع الثقافات المتحولة لإنجاح معركة التوازن ضد المدرسة الأبوية التقليدية ومظاهرها الاجتماعية.

وإذا كنا الآن في مرحلتنا المعاصرة نتكلم عن الثقافة المتحولة وفقهاء المغالطة من نموذج خدمات التفريط وقلب الحقائق، فإننا نحتاج ولو من بعض الوجوه إلى النظرة الواعية في جذور المشكلة ساعة تسليم الثلاثة الخلفاء زمام الحركة والانتشار في المرحلة.

ففقهاء المغالطة جاء على ردم واسع من الجثث والضحايا وإسالة الدماء طيلة فترة التثبيت الإبليسي لمجموعات الخدمات السياسية والعلمية والثقافية والعسكرية، وكانت هذه الفترة القلقة غير معلومة لكثير من ضحايا الثقافة المتحولة اليوم، إلا أنهم ينعمون بثمراتها ويأكلون ويشربون من عائداتها، وتنبت أبشارهم ولحومهم من مشاتل خدماتها إلى اليوم، فهم جزء لا يتجزأ منها برغم انخداعهم وجهلهم بالحقائق.

وقد أدت هذه المرحلة دورها الخدماتي بنجاح، ورضي الثلاثة الخلفاء كل الرضا عن الجهود المبذولة من فقهاء المغالطة وشيوخ المؤسسات وحملة القرار، وهي وقد حققت بلا تحفظ كافة الأرباح المادية من العائدات النفطية وشبه النفطية ومن خدمات التسويق والزفير والشهيق والتعويق والتطويق.

ومهمتنا نحن (بقية السيف وسادة الصلح وَمَنْ تَبِعَنَا بِإِحْسَانٍ) أن نلفت النظر إلى ثقافة التحول والتمويل التي رافقت الحملة المشتركة من حملة القرار ومن فقهاء المغالطة لترويض شعوب الأمة منذ بداية مرحلة الغناء المسيس حتى مرحلتنا المعاصرة التي بدأ (الثلاثة الخلفاء) يعيدون ترتيب الأوراق لخوض معركة أخرى ومن نفس النموذج المتآمر، ولكن بُلُغَةً ووسائل وتوجيه معنوي أكثر أثراً وأشد خطراً.. إنها مسألة المظلومين من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

إن مسألة المظلومين من آل محمد ﷺ ليست ورقة يلعب بها فقهاء القصعة ومستثمرو المراحل، ولكن إبليس الواعي ووكلاءه لا يدخلون البيوت إلا من أبوابها، فهم بادئ ذي بدء يهثون من داخل (آل محمد) - ومن خلال ما يسمى بثقافة التحول - من يحرك الأمور في التيار الجاهز علمانية أو علمنة أو عولمة، وهي الأوعية العالمية لرعاية المرحلة بما فيها من المتناقضات الزمنية، وقد فعلوا ذلك وينجاح باهر، حتى كونوا لهذا الاسم شعاراً ومناراً وقراراً ولكن من منظور (فقهاء المغالطة) أكلة القصعة، حتى لا يخرج المشروع عن هدفه الذي هو دمار الأمة المحمدية من داخلها.

ومشروع دمار الأمة ليس جديداً، ولكنه عريق عراقة الأبلسة ووكالاتها، إنما الجديد هو وسائل هذا المشروع وأساليب إنجاحه في الشعوب حتى يصبح لدى عُصبة الحركة السياسية مشكلةً، ولدى ضحايا المذاهب والعصبيات مطلباً، ولدى الإعلاميين مادةٌ دسمةٌ للنقل الخارجي والتغطية الإعلامية، وينقسم الناس فيه انقسام مؤيد ومعارض، وهكذا تتحقق المقولة الإبلسية (فرّق تسد).

ويغلي المُرّجّل بما فيه، ويتصاعد الدخان، وتغوج المرحلة بمن فيها عبر وسائل الإعلام في لقاءات الوفود وتدخلات الأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء ورموز المصالح المشتركة حتى ينفجر الأتون الحارق بمن فيه، ويحدث المحذور، ويعاد تشكيل الواقع المضطرب مرةً أخرى ولكن بعيون المدبرين للمؤامرة أنفسهم، وبأيدي حملة الخطب المؤججين لنار الفتنة بذواتهم^(١).

ونحن لا بد علينا في كل مرة أن نعيد ترتيب أنفسنا وعلمنا ووعينا وأساليب حياتنا كما هو مقرر للمرحلة لأجل أن نعيش، وربما كان عيشنا يقتضي أن نساوم

(١) قال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، لا يؤخذ الرجل بجريرة أخيه ولا بجريرة أبيه» [أخرجه النسائي في سننه (١٢٧/٧) سيوطي] من حديث ابن عمر رضي الله عنه وصوّب النسائي إرساله، ثم أسنده من حديث مسروق مرسلًا، وإسناده صحيح.

وأن نقاوم، ولا نخرج من هذا ولا ذاك إلا إذا كنا قد تعلّمنا من مدرستنا الأبوية موقف الحالة وأدب المواقف، أما مدارسنا التعليمية فلا تعلّم شيئاً من هذا لأنها قد نهضت لتدبير الأجيال وفق وفود المرحلة، بل ووفق مرادات فقهاء المغالطة في المرحلة إلا القليل والقليل النادر.

وهكذا نرى المئات من أحفاد (بقية السيف وذاري سيّد الصّلح الإمام الحسن) وهم في سوق العرض والطلب يعملون على تحقيق أهداف فقهاء المغالطة وثقافة التحول، وربما كان أكثرهم حذراً من لا يصطدم بالآخرين وهو يعلم ما ينفعه وينشره أو يطويه من الركام الثقافي السلبي.

إن رغبتنا هنا في طرح هذه القضية وبهذا الأسلوب ليس استدرار عطف المحبين الذين أهلكونا في مسيرة التعلّق والمحبة، ولا استثارة غضب المبغضين الذين استقذروا حقنا في الحياة والكلمة الطيبة، وإنما لتقرير المنهج المعتدل الذي منحنا في إقامة ميزان العدل بعد التجربة الواعية لأسلافنا الصالحين، فلربما كان فيها للأمة مخرجاً من الإفراط والتفريط أولاً، ثم تطميناً لخواطر المصممين على إخراجنا من ساحة الحركة، لأننا لا نرغب في الحركة التي يتحركون من أجلها إطلاقاً، ولا مجال عندنا للمنافسة فيها، وأمر آخر لا بد من معرفته: وهو إبراز حقيقة مفهومنا السلمي الإيجابي لكافة المتممين لـ(بقية السيف وسادة الصّلح)

أن يكفوا أنفسهم عن أتون الحرب التي لا متصّر فيها غير الثلاثة الحلفاء:
الشیطان، الدجال، الكُفر والكافر.

إننا عندما نذكر هذه الجزئية (الكفر والكافر) نشير دائماً إلى خطورة عقيدة
الكفر على الإنسانية، وأنها مشروع الشیطان ذاته وليست مشروع الإنسان
الآدمي، وفي هذا المجال قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ
لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التوبة: ١٧]، فالكافر آدمي مغرور به
ومخترق من كل الوجوه، ويحتاج إلى من ينقذه من المشروع الثلاثي وما يترتب
عليه في الحياتين، ولهذا نجد أنفسنا ملزمين من كل الوجوه أن نحذر الكافر من
الكفر، ونحذر المسلمين عموماً والمنافقين أو من كان في دائرتهم فهو لاء جميعاً
يحققون للشیطان مقصوده في العالم الإنساني ويجدارة.

إن ثقافتنا نحن (بقية السيف وسادة الصلح ومن تبعهم بإحسان) منطلقة
من تجربة واعية مبتدئة بقضية الحكم ثم العلم ثم الولاء والبراء ثم قضية المحبة
المشروعة من عند الله، وهذا الحشد من المسميات هو أساس الأبنية لما نسميها
بالمدرسة الأبوية، وهذه الثقافة ليست حكراً على عائلة محدودة أو عرقية بعينها،
ولكنها لا تتم أحداً من الآخرين، فلهاذا لا يهتمون بقراءتها ولا بالنظر الواعي

في شؤونها من هذا المنطلق الفقهي الخاص، وإذا ما هم قرؤوها لسبب أو لآخر نجد أن غالب هذه القراءات مشوبة بشوائب النفس والهوى وعقدة الحساسية من العِرْق والنَسَب والأصالة، وهذه القراءات حاجبة لحقائق معرفة سر الأبوية الشرعية في العقول والقلوب، أما الذين أحسنوا هذه القراءة واشتغلوا بها من الوجه السلبي وعملوا على تحليل وتعليل معانيها ومعرفة مبانيها وملاحقة رجالها وإخراس ألسنة ناطقيها فهم (الثلاثة الخلفاء).

ولأنهم فعلاً قد أحسنوا هذه القراءة من الوجه السلبي فهم أيضاً معنيون بشل حركتها ومطاردة رموزها وإيقاف أثرها وتأثيرها وإيجاد البدائل الواعية القادرة على سد الفراغ وإشغال القوافل المنطلقة في معركة الحياة لإتمام المشروع الأنوي العالمي ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْنَنَنَّ دُرَيْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

إذن ولأننا نحن (بقية السيف وذراعي سيد الصلح الإمام الحسن) وأتباعهم من أهل النمط الأوسط لنا ثقافة وثواب وتأصيلات هامة للحياة وما بعدها فإننا مسؤولون أمام الله تعالى على إبرازها وإشهارها ولو من باب إقامة الحجة ولمجرد العلم والإحاطة فقط.

ولعل أول ما نحن بصدده في إبراز هذه الثقافة الواعية أنها تعمل على رفع مستوى الفرد بالعلم والعمل والإخلاص والورع والخوف من الله تعالى إلى درجة الإحسان الذي كتبه الله على العباد في كل شيء، وإلى مفاهيم الركن الثالث من أركان الدين المعروف بـ(الإحسان) وتعريفه: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وهذه المرتبة قائمة على ثلاثة أقسام من العلم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

وثمرة هذه العلوم - بعد صدق ممارستها قولاً وعملاً ونيةً - حصول الرتبة القعساء في مراتب الترقى الشرعي لكل مسلم، وهي (الصدقية الكبرى)، وبها يبلغ الفرد في منهج آل البيت (مرتبة الإمامة).

دعونا هنا من الإلفك المسيس، وَمِنْ خَلَطِ الأوراق لتعمية الحق، إن الذين يفعلون ذلك هم أولئك الذين يستثمرون كل شيء لمصلحة (الثلاثة الخلفاء).

هناك مدارس ومشايخ عبروا عن (آل البيت) بأساليب مريبة وألفاظ غريبة حجبت عقول الأمة المعاصرة أن تفهم حقائق الإحسان ومراتبه، فمنهم من قال: إن لهم منزلة لا يبلغها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ^(١)، ومنهم من احتج بها

(١) معجم ما يخص آل البيت النبوي، د. عبد الكريم غضية.

يصفه البعض من أن رسول الله ﷺ نورٌ وليس بشر، وذريته كذلك، أو أن في نسله نور يخرج ذواتهم عن البشرية الآدمية، فيبني على هذا عدم موتهم ووجودهم الأبدي مع الناس وسماهم لكلامهم واستجابتهم لاستغاثتهم ونداءاتهم لهم بالمدد والمساعدة.

وتوسعت هذه الأقسام في تشويه الحقائق حتى عميت البصائر والأبصار وارتفعت درجة الحرارة الفكرية في النقل عن مراتب آل البيت وعن أسلوب النقد والتقييم لهم معاً، والحق يُقال أن هناك من الكتاب ومحنة الأقسام من أخرجوا قضية محبة آل البيت وذواتهم وعلمهم وأخلاقهم عن المستوى الشرعي المنصوص.

ومن الكتاب أيضاً من أنكروا الفضائل والخصوصيات والمراتب بالكلية، واعتبروها من نسيج الأساطير والآلهة ليلحقوهم بالأخسرين أعمالاً.

وكتب الخميني في (ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية ص ٥٢-٥٣): «إن من ضروريات مذهبنا أنه لا ينال أحد المقامات المعنوية الروحية للأئمة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما روى عندنا بأن الأئمة كانوا أنوار تحت ظل العرش قبل تكوين هذا العالم، وأنهم قالوا أن لنا مع الله أحوالاً لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذه المعتقدات من الأسس والأصول التي قام عليها مذهبنا». ويذكر الكليني «إن الإمامة فوق النبوة والرسالة والخلة» اهـ. المصدر السابق.

وهذه هي ثمرات الركाम السلبي للصراع الفكري في قضية الولاء والبراء، وهذه هي أيضاً مادة التفجير المعد لمعركة الطائفية باسم آل البيت سلباً وإيجاباً. ولا بد أن يكون المستثمر لهذه المسألة المعقدة بين الشعوب هو الشيطان والدجال والكفر، وقد فعل ذلك ونجح - كما سبقت الإشارة - أينا نجاح. لكن ما هي ثقافة (بقية السيف وسادة الصلح) في هذه المسألة؟

إن ثقافة الأئمة من (بقية السيف وسادة الصلح الواعي وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان) تنظر إلى هذا الركام السلبي بذات المنظار الذي شخّص به الإمام عليّ رضي الله عنه حال معاصريه من محبيه ومناصريه، فهي هو رضي الله عنه وأرضاه يُخطب في أهل الكوفة قائلاً: «فوا عجباً والله.. يميمت القلب، ويجلب الهم، اجتمع هؤلاء على طلبهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبّحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً ير مى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغدرون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون)..

فإذا أمرتكم بالسير أيام الصيف قلتُم هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتُم هذه صارة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر؟ فأنتم والله من السيف أفر..

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت
أنني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً وأعقبت سدماً، قاتلكم الله، لقد
ملأتم قلبي قيحاً، وشحتتم صدري غيظاً، وجرعتموني نخب التهام أنفاساً،
وأفسدتهم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي
طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب.. الله أبوهم، وهل أحد منهم أشد
لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت بها وما بلغت العشرين وهأنذا قد
ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع».

ومن خطبة أخرى يقول: «إنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات،
وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني لا أرى أصلاً حكم بإفساد نفسي،
أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم، لا تعرفون»^(١).

وفي يوم مقتله رضي الله عنه أوصى آل بيته فقال: «يا بني عبد المطلب: لا
تخوضوا في دماء المسلمين خوفاً تقولون (قُتِلَ أمير المؤمنين) ألا لا تقتلن بي إلا
قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فياني

(١) نهج البلاغة، ص ٩٦، ط. المكتبة المصرية.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور^(١) اهـ تاريخ الخميس الثاني.

وينظر إليه أيضاً بمنظار ابنه الحسن بن علي في قوله: «فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتم صوراً ولا عقول، وأجساماً ولا أحلام، فراش نار وذبان طمع، يغدون بدرهمين ويروحوون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمان عنة».

وفي قوله لأخيه الحسين رضي الله عنه وهو على فراش الموت: «يا أخي إن أباك حين قبض رسول الله ﷺ استشف لهذا الأمر أن يكون صاحبه فصرفها الله عنه ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبو بكر الوفاة استشف لها أيضاً فصرفت عنه إلى عمر، فلما قبض عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان ببيع له ثم نوزع حتى جُرد السيف وطلبها فما صفا له شيء منها، وإني والله لا أراي أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفك ما استخفك من سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك» وفي مقولة الإمام علي زين العابدين: «يا أيها الناس: أحبونا حب

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للحافظ ابن جرير الطبري (١٥٨/٣) وأخرج أبو داود في سننه (٢٨٨/٣) وغيره من حديث عمران بن حصين قال: «كان رسول الله ﷺ يحننا علياً لصدقة، وينهانا عن المثلة».

الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً»، وفي رواية: «أحبونا حب الإسلام، فوالله ما زال بنا ما تقولون حتى بغضتمونا إلى الناس»^(١)، وهذه هي مواقف الأئمة رجال النمط الأوسط من محبيهم المفرطين، وقد برزت في كلماتهم خلال أشد مراحل الألم من مخالفة الأتباع للمنهج المرسوم، وكما كان لهم مثل هذه المواقف من ركب المحيين فلهم مواقف أخرى من ركب المبغضين أيضاً.

(١) النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، لصاحبه علاء الدين المدري.

المدارس الأبوية ومرحلة الغناء المسيس

إذن فمن الواجب المنصوص معرفة فقه الترقى في مراتب الإسلام والإيمان والإحسان ومن خلال العلم والعمل، ومن ثم فقه الترقى في مفهوم العلوم الثلاثة من علوم الإحسان ومنها وبها تبرز علائهم مرتبة الإقامة أو الصديقية الكبرى.

وبهذه المراتب يتميز لدى هؤلاء الأئمة أسلوب المعاملة مع الآخرين، وهذه المراتب في حقيقتها مكسباً عاماً للأمة الإسلامية متى ما نهجت شروط المنهج الإسلامي الحق، وقد برز فيها الكثير من المسلمين ونالوها بشرف الاتباع وحسن العمل بالعلم.

وكانت مدارس الإسلام الأبوية في بلاد المسلمين قبيل مرحلة الغناء المسيس تعني بهذه الدراسة الخاصة بفقه مراتب السلوك المؤدي إلى الصديقية الكبرى ولكنها ضعفت بعد ذلك وجففت منابعها بفعل مزاحمة الثقافة المتحولة ليحل محلها البديل الغنائي المسيس.

ولم يقف الأمر عند تحجيف منابع فحسب بل قام سيطرة الثقافة المتحولة إلى صناعة النسيج الفكري لما يسمى بفقه المغالطة ليطمسوا آثار المدرسة الأبوية من جهة، وليفسحوا المجال للرحب لثقافة الأبلسة والنقائص حتى تنفصم العرى

بين المسلمين أنفسهم بهذا الاختلاف، وقد فعلوا، وها نحن نعيش ثمرات هذا
الفقه المسيس، هل هناك من يكذب بهذا؟ ربما...

لقد تناول العديد من الكتاب صُلح الإمام الحسن، ولم يولوه أهمية من حيث
كونه قاعدة أساسية في سد ثغرة المطالبة بالسلطان في ظل الخيانات، بل اعتبروه
مناورة سياسية ذكية تستهدف التمهيد لثورة الحسين كما سُميت، ويقول صاحب
هذه الفكرة: «ومن هنا يتجلى لنا بوضوح معنى حديث النبي ﷺ: الحسن
والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»^(١). فليس المقصود بالقيام والعود الحركة
الاجسدية المعروفة، وإنما الحركة الفكرية التغييرية المناسبة، والتصرف الذي
تقتضيه مسؤولية الإمامة في طريق الثورة ضد الباطل والطغيان الخ...^(٢).

وهذا التحليل صورة ومثال لما أشرنا إليه سلفاً من اختلاف ثقافة المبررات
عن ثقافة (بقية السيف وسادة الصلح)، فالظلم لا يرضى به أحد إطلاقاً، ولكن
ليس على حساب الأبرياء، و(بقية السيف وسادة الصلح) وردوا كافة الموارد في

(١) هذا موضوع، ويغني عنه حديث المقدم بن معد يكرب قال: «قال رسول
الله ﷺ: حسنٌ مني، والحسين من علي» أخرجه أحمد في المسند (١٠١/١) من حديث علي
بن أبي طالب، وحديث المقدم أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٣٠/١٢٩/٢).
(٢) من لا يحضره الخطيب ٢٥٦/٤ تأليف: داخل السيد حسن.

سبيل الحق وإقامة شروطه، ولكن من واقع ثقافي وأدبي أبوي، فرأوا أنَّ السلامة خيرٌ من المغامرة، وكان الإمام الحسن إمام السلامة في سبيل حفظ الدماء وصون الأعراض إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وأيده المصطفى ﷺ في هذا المنهج دون أن يشير إلى أن هذا السيد وصلحه سيكون مناورة سياسية يتم الفصل فيها بواسطة الإمام الحسين ليعيد للعالم والأمة فكرة الحروب والثأر والانتقام، وإنما كان موقف الإمام الحسين هو موقف الاجتهاد المشروع مع موقفه المخرج من الأتباع والأشباع من جهة لتحميلهم إياه بيعة في عنقه، ثم موقف الشجاع الذي اتخذ سبيل الاجتهاد ورأى رأياً وصمم عليه، فكُون به مدرسة لأهله وذريته، كما تكون من ذلك أيضاً مدرسة حسرة وعقدة ذنب لدى خاذليه والمتأخرين عن نصرته، وهم اليوم يملؤون الأرض صراخاً وعويلاً تحت ما يسمى بعقدة الذنب.

إن آل البيت لو كان هناك أمل لهم في محيين يضعون المجد والعزة والشرف لكان لا يتعدى الحسن والحسين، أو أن يعود أحدهم إلى الحياة ليصبح إماماً للأمة، وأما وقد ذهب الإمامان فنحن أمام دعوتين داخل القبو الأبوي لآل البيت:

• دعوة الثورة ومبرراتها وفلسفتها على حساب الامتلاك للسلطان وإسالة دماء الأمة من محق ومبطل، ولن يكون لآل البيت فيها غير الاسم والدعاية والشعار.

• والدعوة الثانية دعوة السلام التي رسمها الإمام الحسن وحولت جيل آل البيت ومن في دائرتهم إلى البناء الأبوي الشرعي في الحياة مقتدين بالعرش من أهل الحق وقد صبروا على مراحل البطش والأذى، وكان هدفهم الإنسان وليس السلطان، واستطاعوا بهذا الهدف أن يعيدوا إلى حضرة الولاء الآلاف من المعارضين والمناوئين، بل ومن أعداء آل البيت من عاد بالحكمة والموعظة الحسنة، وتضافرت جهودهم جميعاً على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يموت الجميع على حُسن الخاتمة، وسيكون الفصل العدل يوم القيامة، وكفى.

إننا لا نُلْزِمُ أحداً بثقافة (بقية السيف وسادة الصُّلح)، ولا ندعو إليها مَنْ يأبأها، بل نعرضها في سوق العرض والطلب كنموذج واع لفرض الاستقرار النسبي والاستقرار الذي يجمع ولا يفرق ويبني ولا يهدم.

وأما غيرها من الدعوات والثقافات والتهوكات مهما عَظُمَ أمرها وحمَلَت شعار الكتاب والسنة أو شعار نصر المظلومين من آل البيت فلن نبرّتها من أثر

النفس والهوى والدنيا والشيطان، ولن تُسَلِّمَ في مسيرتها الثورية - كما تسميها - من حُلّ تبعات الهتك والفتك والقتل دون أن تحجني مكسباً إسلامياً أمام عدوها العالمي الكافر، بل ربما مهّدت له الطريق كما مُهِّد لها لتكتسح الواقع المضطرب، ومن ثم يتسنى للكافر الإجهاز عليها كما أجهز على من كان قبلها، وهكذا دواليك.

إننا هنا نضع جزئية مهمة حول هذا الموضوع الحساس لنقطع الطريق على المتربصين والمتقولين، حيث برز في الآونة الأخيرة على يد بعض الإخوة المجاهدين في سبيل الله نصرٌ مؤزّرٌ في لبنان ضد العدو الصهيوني، وارتفعت به هامات المسلمين في بقاع العالم كله، وانكسر حاجز الوهم الذي فرضه العدو على الأمة تحت مفهوم (الجيش الذي لا يهزم).

ومثل هذه الظاهرة الجهادية الناجحة تعتبر مكسباً إسلامياً للأمة كلها بصرف النظر عن المذهبية والاتجاه، فالمذهب مخرج تاريخي لا علاقة له بالنصر أو الهزيمة، وإننا القاسم المشترك كون الجهاد على يد العقل الإسلامي الواعي الملتمزم لقاعدة حسن التدبير وسلامة التخطيط وتجنب عوامل الاختراق من عيون العدو، وهذا هو سبب النجاح.

كما أن انعدامه لدى المسلمين والدول العربية كان سبب الفشل أيضاً، ولا علاقة للمذهبية والصوفية بذلك.

وقد وقع بعض علماء المرحلة من منسوبي أهل السنة في خطأ فادح عندما اعتبروا النصر الجهادي في لبنان مرتبطاً بالمذهب، فأدانوا الجهاد والمجاهدين باعتبار مذهبهم الشيعي، وهذا حُكْمٌ فاسد من أساسه، لأن الذين أدانوا الجهاد في سبيل الله ينحون في فتاويهم ضيق الأفق المرحلي ولا يدركون القاسم المشترك بين المسلمين في الجهاد الإسلامي.

ودلالة هذا الضيق المرحلي عدم استيعابهم لمن هم من داخل مذهب أهل السنة من الصوفية، حيث أخرجوهم عن مذهب أهل السنة بشبهات التسييس والتدنيس، فكيف يتسع مجال الاستيعاب لديهم فيمن هم خارج المذهب كله؟ وهذا هو تعليل المشكلة من كل وجوها.

إننا نقرر هذا الموقف هنا كمسألة جزئية ترتبط بحوادث المرحلة، ونسجل موقفنا المؤيد للمجاهدين في سبيل الله من أي مذهب كانوا، فالنصر لا يرتبط بجزئيات المذاهب والأفكار، وإننا يرتبط بحسن القيادة وسلامة التخطيط وكتمان الأسرار من اختراق الأعداء.

ونحن وهم في هذا النجاح على قاسم مشترك أمام العدو المشترك، وأما مسألة المذاهب فمحور الخلاف والاختلاف حول بعض النقاط المسيسية، والتي نأمل معالجتها لدى الجميع بكمال الوعي وصدق العلاقة بالرسالة وثوابتها.

إننا هنا نضع التحليل الواعي لقضية أثر الكافر بمسؤولية وإدراك، فالذين لا يولون لأثر الكافر في المرحلة موقعاً هم أولئك الذين يستثمرون الولاء معه ضد الولاء للإسلام في شعوبه الممزقة، فالقرار العالمي في الحرب واليأس هو بيد عصابة الكفر الإبليسي بعد سقوط قرار الخلافة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يرتفع صوت إسلامي في مرحلة الغناء سواء على الكافر ذاته أو على المسلمين فيما بينهم إلا وهناك بصمات للقرار الكافر يحقق بها مصالحه، إما بالرضا على عنجهية مسلم على مسلم مثله ضمن دوائر الأنظمة المهزوزة أو ضمن الجماعات والأحزاب والتيارات المتناقضة ذات العلاقة المباشرة بالسياسة العالمية (فرّق تَسُد)، أو بصراعٍ ميسّسٍ وتحريشٍ مبرمجٍ يضرب بين حَمَلَة قرار الأنظمة أو حَمَلَة مناهج المذهبية وآل البيت، بحيث يتحقق للكافر وسياسته الربح الأوفر من الصراع.

لقد كانت مدرسة الأبوّة مِنْ (بقية السيف وسادة الصلح) حلاً جذرياً للمشكلة من أساسها، وهذه وجهة نظرنا، وإن كانت في نظر المندفعين والمتنفعين

وجهة نظر جبانة، لكنها - كما نجزم بذلك - ورقة عمل مجدية في الواقع الإسلامي المضطرب، خصوصاً بُعيد سقوط قرار الأمة الإسلامية ووقوعها في براثن الكفر والكافر.

إن هذه المسألة تنطلق من مبدأ إنقاذ ما يمكن إنقاذه في طوفان الصراع الباتر، والصراع الباتر لا يحقق للشعوب سلاماً أو حياة، وإنما يحقق للشيطان ووكلاؤه استثماراً وسيطرة واستبداداً على الشعوب.

فيا ترى هل لدى آل البيت في مرحلة العولمة حل عالمي يلوحون به أمام العالم؟ أم هو انتقام وإعادة لمفهوم المقولة الماركسية «أخربوها فليس لديكم ما تفقدونه»!

فإن كان هناك حلٌّ جذري للعالم بدءاً بالقرار السياسي والاستقرار الاجتماعي المتحرر عن الاستعمار والاستثمار، فتلك مسألة مهمة في تاريخنا المعاصر يجب أن نرى إشاراتنا في ذات البؤر التي تلوح بهذا الحل العالمي الجديد، وإن كان مجرد مهمات وتخرصات - كما هي في عالمنا السُّني المعاصر (فئات وأحزاب وجماعات وجمعيات صراع وصوفية وسلفية وما تفرَّع عنها من بؤر منتنة ومحنة) - فالحقيقة تقتضي إعادة النظر في الأمر كله من جهة، كما تقتضي منا نحن (بقية السيف وسادة الصلح وَمَنْ تَبِعْنَا بِإِحْسَان) أن لا ننجَرَّ خَلْفَ

الأحبايل والأضاليل والتخرصات والتمويهات، فقد كفانا ما رأينا وما حلَّ بنا وبغيرنا، ولنا سَلَفٌ صالح رضي الله عنهم وأرضاهم ما تركونا لرياح التغيير عرضة ولا خذلونا في المواقف التي اتخذوها لحفظ الدين والعرض والهوية، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وإنما مشكلتنا المعاصرة هي تكالُّب الغير على هذه البقية لإدراجها ضمن كُتَل الصراع، واللعب بالنار من خلال امتطاء قضية الولاء والمحبة وقضية احتكار العمل بمذهب معين دون غيره، وكأنها لا تصح صلاة ولا قربة إلى الله بمذهب إسلامي آخر؛ وإن تظاهر الأتقياء على العمل به.

إن بقية السيف وسادة الصُّلح الواعي وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ - وقد عاصروا نماذج التحولات في أرض الرافدين - يرون أنَّ المواقف التي اختارها عقلاء مدرسة الأبوة للخروج من دوامة الصراع بالكلية هي خير ما يميزهم في طريقهم الثابت إلى الله.

كما أنَّ تفسيرهم - رضي الله عنهم - للأحداث من خلال الشرع لا من خلال تغليب الطبع قد حَفِظَ قلوبهم وألستهم وأيديهم عن الخوض في الباطل، كما حفظ الصدور الأئمة أنفسهم بذلك، وربما عَجَزَ الكثير من فقهاء المبررات

عن معرفة أسلوهم في حفظ أنفسهم بالشرع، لأن الشرع في أيدي الكثير من فقهاء المغالطات مادة نفي وإثبات لما رأوه واستحسنوه.

لقد قرأ فقهاء (بقية السيف) قضية صلح الإمام الحسن قراءة شرعية كما قرأها بعض سادة الصلح بما لم يقرأها كثير من آل البيت الحاملين سيوفهم للانتقام الوهمي:

أولها: أن موقفه كان بعد دراسة واعية منه لمواقف أتباعه وأشياعه الذين يحيطون به ويوالده ومن سبقه من حكمة القرار الشرعي، فلم يجد أملاً في تحقيق نصّرهم.

ثانيها: أنه تأكد لديه غلبة التأثير المادي على أهل الشام آنذاك، وانعكاس قضية التنازل في التحكيم - إبان معركة صفين - على المواقف من أساسها، وهي علة إضافية تُدين جناح المحبين الذين ألزموا الإمام قبول التحكيم مما أضعف موقف الشرعية.

ثالثاً: أن موقف الإمام الحسن كان مدعوماً بالنص النبوي في الفصل بين الفريقين المختصمين، ولا يوجد نص آخر يؤكد سلامة المخالفين لهذا الموقف بنقضه أو إدانته.

رابعاً: أن الإمام الحسن حَمَلَ كافة أهل البيت من العراق إلى المدينة كمظهر جديد لتحول المواقف لديه من أمر الخلافة والمحبين في العراق إلى الأبد.

خامساً: أن اجتهاد الإمام الحسين، وخروجه الشرعي، وما ترتب على ذلك من استشهاده وَمَنْ مَعَهُ يؤكد سلامة منهج الصلح ويدين الظُّلم والظالمين من طرفي الحاذلين والقاتلين.

إذن - والأمر كما ذكرنا - فالإعادة لهذه القضية في مؤلفات المرحلة إنها تشير إلى رغبة فقهاء المراحل الذين وصفهم الإمام الحسن في وصيته لأخيه بـ (سفهاء الكوفة) أن يكون آل البيت وقوداً للشورة التي كَلَّفَتْ آل البيت سلامتهم وسلامة دياناتهم، وأخرجتهم من أرض المدينة - بعد أن أووا إليها - إلى أرض الشقاق والنفاق وما حولها من تلك البلاد المضطربة.

إنَّ فقه (بقية السيف وسادة الصُّلح وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان) قد احتوى وبَيَّن خَطَرُ المؤامرات التي دُبِّرَتْ للإسلام كله منذُ عَصْرِ الْمُلُكِ الْعُضُوضِ حتى عصر العولمة، ولكنَّ هذا العلم يصاحبه وعي ودراسة لمواقف الأئمة المظلومين ولحال أمة محمد أجمعين، وما ترتب على هذه المواقف من ثوابت وقواعد لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنقضها العواطف ولا التحولات السياسية ولا المصالح المتغيرة ولا الأمم المتداعية، ولكن يصاحبه هدوء وسكينة وحفظ للمواريث

والأخلاق وحُسن تصرف يحفظ ماء الوجه ونزاهة المأكَل والمشرب والأسرة والمجتمع بالتي هي أحسن، وفي حال الطوفان وساعات الغرق كما هو حال عصرنا وما يدور فيه، فلا شيء لدى أهل (بقية السيف وسادة الصُّلح الواعي) غير إنقاذ ما يمكن إنقاذه، و«عليك بخويصة نفسك»، لأن المتبوع الأعظم قد أوضح الطريق وأنذر الفريق، ولم يربط الديانة ومستقبلها بمقتل أحد ولا بإسقاط الحكم عن مثله، بل بَسَط الأمر وفق الالتزام بالأصلين، ومن اجتهد فأخطأ فلا جناح علينا ولا عليه في أمر يجمع عليه ويتفق لدى أهل الحل والعقد في إمضائه والسير في كنفه وثمراته، والجنوح قد عرفناه بالنص، وعلاج الاختلاف حول القرار يكمن في مواقف الأثبات العدول، ولا حاجة لنا ولا لغيرنا اليوم في كشف أوراق وفتح ملفات طواها الزمن إلى يوم المعاد.

وانما الأوراق التي يجب أن تُكشَف والملفات التي يُلَزَم أن تُفَتَح هي ملفات عمالتنا المعاصرة - بوعي أو بغير وعي - للثلاثة الخلفاء، هذه العمالة التي مَنَحَت العدو امتلاك القرار وفرض عوامل الاستقرار بعد أن حذرنا مولانا من ذلك، وأفرد له المصطفى ﷺ فقهاً خاصاً يُعرَف في أركان الدين بعلامات الساعة^(١).

(١) وبهما - أي بعد ما حصل لهما من حوادث - وما كانت من مواقف.

أين موقف السُّنة المصنَّعة والشِعة المقتَّعة والأحزاب الدينية المسيَّسة والتجمعات الفتوية المتترِّسة^(١)، وحتى المذهبية والصوفية المتنافسة من علامات الساعة وفقهها، وما كشفه ﷺ من انهيار وإحباط وغناء ووهن؟

إن لنا نحن (بقية السيف) حقاً في رسول الله، وفاطمة الزهراء، وعلياً بن أبي طالب، والحسن والحسين، وسادة الصُّلح الواعي، وآل البيت أجمعين، وفي الكتاب والسُّنة، والنبوة، والأخلاق المحمدية، ولكننا لا ننهج ما نهجه المُفَرِّطون ولا المُفَرِّطون في معالجة القضايا وتحليل المواقف، وإنما ننهج منهج السادة القادة أنفسهم، وهم بالترتيب:

(١) المتترِّسة: أي المحمية داخل المجتمعات المتناقضة.

ومفهوم السُّنة المصنَّعة إشارة إلى ثمرات السياسة العالمية في العالم الإسلامي بعد سقوط قرار الخلافة الحامي لمنهج السُّنة الحقيقية، وكيف تم بعد ذلك إيجاد مفهوم (أهل السُّنة) بأسلوب مسيَّس - أي: مُصنَّع - تنفصل به (مدرسة التصوف) عن مفهوم أهل السُّنة ليصبح أهل السنة في واقع الحياة الغنائية حملة منهج (القبض والنقض في جزيرة العرب).

وأما مفهوم الشِعة المقتَّعة فهو إشارة إلى التكنم والتقية التي تمارسها مدارس التشيع لاكتساح الواقع العربي والإسلامي بأساليب مقنَّعة بضُرف النظر عن محبتهم لآل البيت أو عدمها، فللمحبة علامات، وللسياسة المقتَّعة دلالات، والله غالب على أمره.

١- النبي الأكرم ﷺ ومواقفه الأخلاقية المرتبطة بشريعته الغراء، وهي أساس بناء العلاقة بين الأفراد والأسر والمجتمعات والشعوب.

٢- الخلفاء الأربعة: ويأتي في مقدمتهم - من حيث الاهتداء والاقتداء بسنن المواقف - إمام التحولات الخاصة بنا آل البيت (الإمام علي رضي الله عنه) الذي كان وجوده في هذه المرحلة الحرجة ثباتاً وعوناً ونصراً للخلافة، وسنداً للرسالة التي قال عنها - إن صح ما قيل عنه - وهو يحذف نعلاً كان بيده أمام أحد الصحابة ويسأله عن قيمة النعل، فقال: لا قيمة له، قال: إن الله ليعلم أنها أهم عندي من خلافتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً^(١).

و عن عمار ابن ياسر ؓ قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيِّ بْنِ طَالِبٍ: يَا عَلِيُّ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ زَيْنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ تَزِينَ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا، هِيَ زِينَةُ الْإِبْرَارِ عِنْدَ اللَّهِ الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا فَجَعَلَكَ لَا تَرْزَأُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً وَلَا تَرْزَأُ

(١) من لا يحضره الخطيب، الجزء الرابع (رقم الصفحة).

الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً»^(١).

٣- الإمام الحسن والإمام الحسين: وهذان الإمامان قد جمعا بين المعادلين في اختبار الأمة عموماً، وبهما انقطع الرجاء في عودة الأمور إلى مجاريها، بل ربما جرى من النصوص المصاحبة للمراحل التي عاصروها وما ترتب على ذلك من تحول وتغير في شأن القرار خصوصاً، فانصرف الجميع من أتباع (بقية السيف وسادة الصلح وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ) عن مسألة الاشتغال بالقرار والمطالبة به إلى بناء عوامل الاستقرار المشروع في جسد الأمة المتداعي وحفظ ما يمكن حفظه من تماسك الشريعة والديانة، وقد فعلوا.

٤- الإمام علي زين العابدين، وهو حجة على الجميع بعد الحسين رضي الله عنهما وأرضاهما، وهو أصل المقصود من مقولة الإمام علي رضي الله عنه: «بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً»^(٢) وهو كما قلنا

(١) أسد الغابة: ٤ / ١٠١، ترزاً: في حديث سراقه بن جعشم فلم يرزاني شيئاً أي لم يأخذاً مني شيئاً.
(٢) سبق تخريجه.

حُجَّتْنَا فِيهَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَسْلَافُنَا الصَّالِحُونَ بِحَضْرَمُوتَ وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ
مَنْ قَبْلَهُمْ أَقْوَامَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ وَالْعِرَاقَ، إِذْ لَا سَلَفَ لَنَا نَحْنُ
(بَقِيَّةُ السَّيْفِ) غَيْرُهُمْ فِي سَابِقِ الْعَهْدِ بَعْدَ مَنْ ذَكَرْنَاهُمْ مِنْ أَصُولِنَا
الْفِكْرِيَةِ الْأَبْوِيَّةِ.

فَالْإِمَامُ عَلِيُّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ مَهْنَدِسُ التَّارِيخِ الْلاحِقِ لِمَدْرَسَةِ آلِ
الْبَيْتِ، وَأَحَدُ أَصُولِهَا الْفِكْرِيَّةِ وَمَوَاقِفُهَا الشَّرْعِيَّةُ الْمَعْتَبَرَةُ، بِصَرْفِ
النَّظَرِ عَمَّنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ رَاغِباً فِي الثَّوْرَةِ ضِدَّ الظَّالِمِينَ، فَتِلْكَ وَجْهَةٌ
نَظَرَ أُخْرَى لَهَا مَقَابِيصُهَا لَدَى فَقْهَائِهَا، وَلَا نَنْكُرُهُمْ وَلَا نَقْصِيهِمْ مِنْ
مَوْقِفِ الْحَرَكَةِ، لَكِنُّهُمْ لَيْسُوا بِدِيْلًا وَلَا حُجَّةً لَنَا وَلَا لْغَيْرِنَا، بَلْ إِنَّمَا
لَوْ قَبْلُنَا مِنْ بَعْضِهِمْ الثَّوْرَةُ عَلَى الظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ فَلَنْ نَقْبَلَ مِنْ
أَتْبَاعِهِمْ فِلْسَافَةَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي رَكَنُوا إِلَيْهَا فِي إِفْسَادِ عِلَاقَةِ الْأُمَّةِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَصْنَفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ص ٢٧ إِنْشَارَةً إِلَى بَقِيَّةِ السَّيْفِ فِي قَوْلِهِ حَدِيثُهُ:
«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، هَلْ كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ وَهَلْ كَانَتْ بَعْدَهُ
شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا الْعَصْمَةُ؟ قَالَ: السَّيْفُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَهَلْ بَعْدَ
السَّيْفِ مِنْ بَقِيَّةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ (هَدَنَةً). قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَعْدَ الْهَدَنَةِ؟ قَالَ: دَعَاةُ
الضَّلَالَةِ، فَإِنْ رَأَيْتَ خَلِيفَةً فَالْزِمْهُ، وَإِنْ نَهَكَ ظَهْرَكَ ضَرْبًا وَأَخَذَ مَالَكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
خَلِيفَةً فَالْهَرَبُ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌ عَلَى شَجَرَةٍ».

بالخلافة الراشدة، وإبطال سلامة انتقال القرار الإسلامي من عصر الرسالة إلى عصر الخلافة الراشدة، فهذا عين الاختلاف وأساس الخلاف.

ونحن في مدرسة حضرموت - وهي جزء من مدرسة المنسويين لـ(بقية السيف) - نخالف المدارس الإسلامية الطاعنة في مرحلة الخلافة الراشدة، مع أنَّ بعض الأفراد من حَمَلَة الرأي الشخصي في (مدرسة حضرموت) وخاصة من يرغبون في التعبير عن عواطفهم الجياشة ضد مجريات المراحل التاريخية قد وقعوا في بعض الصحابة المنسويين إلى مرحلة (الطلاق) لكنهم لم يחדشوا الخلافة الراشدة ولم يتناولوا الخلفاء الأربعة كتناول أهل التفريط والإفراط.

وهذه كلها لا تتجاوز الآراء الشخصية لدى بعض الأفراد، وليست معبرة عن مدرسة حضرموت كلها، لأن مدرسة حضرموت لها ثوابتها المتوارثة وقواعدها المتأصلة على منهج السلامة كإبراً عن كابر، وإماماً عن إمام إلى الفقيه المقدم، ومنه إلى الإمام المهاجر، ومنه إلى الأئمة الأكابر إلى الإمام علي زين العابدين.

وقد مَيَّرَ الإمام الحداد هذا التسلسل المنهجي في قصيدته العينية، وزاد
الإيضاح والشرح بياناً للإمام العلامة السيد أحمد بن زين الحبشي في (شرح
العينية)، فليراجع.

بقية السيف (علي زين العابدين)..

الشجاعة المثلث... دعوة وعلم وعبادة..

عاش الإمام علي زين العابدين في مجتمعات تزخر بالحركات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية المتنوعة بها فيها من ظلم سياسي وثوراء اقتصادي وترف اجتماعي وسير إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في التيار الشعبي الأبوي، ومع هذه المتناقضات في هذا الواقع كان القادة والرموز يشعرون بالفخر وقد تخلصوا من أضدادهم وهدأت المطالبة بالدماء والشار إلى حد ما.

وفي هذه الحقة كان الإمام علي زين العابدين يقرأ سطور الواقع والمستقبل بعيون الأبوة وسر النبوة وعلائم الحزن بادية على الوجه الوضيء الوقور، وكلما سأله القوم عن حزنه البادي قال لهم: «كيف يذهب الحزن عن قلبي وقد رأيت بضعة وسبعين من أهل بيتي يُقتلون أمام عيني؟».

وأخذ الإمام العابد الزاهد الواعي يرسم في الواقع مدرسة (فقه بقية السيف) على وجهها الصحيح، إذ أشاح عن الظالمين وجهه، واستقبل الشعوب في مواقع العطاء والعلم والدعوة إلى الله، وبدلاً من أن يجندهم في الحروب والقتال جندهم لحفظ أمانة العلم والعمل وحسن الامتثال لأمر الواحد القيوم.

قال في كتاب (مَنْ لا يحضره الخطيب ٤/ ٣١٨، تأليف: داخل السيد حسن): «كان الإمام زين العابدين يتصدى لنشر الوعي الاجتماعي وبث الثقافة الإسلامية الأصيلة وتفجير بناييع الحكمة والعلوم والمعرفة لينير الأفكار ويهذب الأخلاق ويربي النفوس، فانتسب لمدرسته عمالقة الفكر وبناء الحضارة الإسلامية».

قال سعيد بن المسيب: «كان القراء لا يخرجون إلى مكة إلا إذا خَرَجَ علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب».

ومصطلح (القراء) في ذلك العصر يقابل كلمة (العلماء والمثقفين) في وقتنا الحاضر، ومعنى ذلك أن الطبقة المثقفة والشرائح المتعلّمة كانت تلتف حول الإمام زين العابدين، فيستفيدون من دروسه ومحاضراته وتعاليمه.

ومن أشهر المتتسبين لمدرسة الإمام العلمية: الزهري، سفيان بن عيينة، نافع، الأوزاعي، مقاتل، الواقدي، أحمد بن حنبل، جابر بن عبد الله الأنصاري، سعيد بن المسيب، سعيد بن جبير، وغيرهم...

وكل هؤلاء أخذوا عن الإمام علي زين العابدين أو من أخذ عنه ونهجوا منهجه في السلامة والتوسط والاعتدال المشروع، وتشهد بذلك مذاهبهم الإسلامية التي نشروها في العالم الإسلامي.

قال الزهري فيه: «لم أر هاشمياً أفضل منه وما رأيت أحداً أفقه منه، كان أقصد أهل البيت وأحسنهم طاعة»، وقال حماد بن زيد: «كان أفضل هاشمي تركته بالمدينة»، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة: «أصح الأسانيد كلها: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب»^(١).

وقد أشبعت التراجم التناول لأخلاقه وحلمه وعلمه وطول عبادته وحسن استقامته وورعه وتواضعه وجلالة قدره واحترام المسلمين له.

وفي قصة الفرزدق وهشام بن عبد الملك إشارة واضحة إلى ما قد وصل إليه الإمام علي زين العابدين من شرف التقدير أمام الشرف المادي الذي خذل هشام ساعة الاختبار، فقد حُكي: «أنَّ هشام بن عبد الملك حَجَّ قبيل خلافته، فكان إذا أراد استلام الحجر زوحم عليه، وإذا دنا علي بن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالاً له، فوحم لها هشام وقال: مَنْ هذا؟ فما عرفه.

وكان الفرزدق حاضراً فثار غضباً لله ولرسوله وأنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العَلَم
إذا رأته قریش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

(١) شرح العينية، ط ١٨، دار العلوم الإسلامية، سوريا.

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الخطيم إذا ما جاء يستلم
 يغضي حياءً ويُغضى من مهايته فلما يكلم إلا حين يتسّم
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بِجَدِّهِ أنبياء الله قد ختموا
 وهي طويلة النظم واسعة المعنى، وحسَّ الفرزدق بسببها، وأرسل إليه عليّ
 زين العابدين صلّةً وعوناً فردّها وقال: «ما قلت ذلك إلا غضباً لله ولرسوله»،
 فردّها عليّ إليه وقال: «بحقي عليك لما قبلتها فقد علّم الله نيتك ورأى مكانك»
 فقيل لها^(١).

ورسّخ الإمام عليّ زين العابدين بمواقفه من القرار العضوض وحمته
 مدرسة أبوية نبوية ذات أبعاد قال فيها الإمام الخداد:
 «مثل الإمام عليّ زين العابدين القانت المتبتل المتخشع
 قد جعل فراره إلى الله وخدمته للقطاع الأوسع من الأمة شغله الشاغل،
 فكان للإسلام بهذا أنفع العوائد وأفضل المقاصد».

(١) أعلام آل البيت، ص ١٥، عبد القادر محمد منصور.

مدرسة الإمام علي زين العابدين عليه السلام (مدرسة النمط الأوسط)

بمواقف الإمام علي زين العابدين بدأت مدرسة الزهد والتصوف وبه أيضاً
تُحِمَّتْ وحُيِّمَت قضية الصراع والنزاع على القرار، فهو رضي الله عنه وفُصِّلَ
هامٌّ في الفصل بين مرحلتين:

الأولى: مرحلة اجتماع الخلافة والنبوة، ووقوف الأئمة من آل البيت في صدر
مواقع القرار، سواء في محيط القرار ذاته أو ضمن دائرته بالمشاركة والموافقة.

وقد بدأت هذه المرحلة من مبايعة الإمام علي رضي الله عنه لأبي بكر
الصديق رضي الله عنه وحتى تنازل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ومقتل
الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه.

الثانية: مرحلة انقسام وانفصام الخلافة عن النبوة، وتبدأ بمقتل الإمام
الحسين رضي الله عنه حتى اليوم، وإلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد ترتب على هاتين المرحلتين بروز موقفين هامين داخل مدرسة آل
البيت:

الموقف الأول: مدرسة الزهد وعدم المطالبة بالحُكم

وبدأت فاعليتها بمواقف الإمام الحسن وعلي زين العابدين ومن جاء من بعده من الأئمة على هذا المبدأ .

كالإمام محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق، والإمام موسى الكاظم، والإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، وأبي الحسن العسكري، والإمام علي العريضي.

وذكر أنه خرج أول الأمر مع أخيه محمد بن جعفر بمكة ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ.

والإمام محمد النقيب بن علي العريضي، والإمام عيسى بن محمد، والإمام المهاجر أحمد بن عيسى ومن تبعهم من أبنائهم وأحفادهم وأتباع منهجهم خلال مرحلتَي الأموية والعباسية.. يجمعون قلوب الأمة داخل دائرة الدولتين على ثوابت الأخلاق المحمدية مع ثوابت العلم الشرعي وإشاعتها وحفظها، مساندين لأهل العلم، مجانبين ما استطاعوا أهل النفوذ والحُكم إلا فيما تَجِبُ فيه المناصحة، وهم - أي: آل البيت - في هاتين المرحلتين بين مطارد أو مسجون أو مراقب أو مهاجر، أو بين صابر على البلوى وقائم بالحقوق غير مطالب بحقه أو مقامه، وكانت هاتان المرحلتان هي التي فَصَلَت بين قرار الحُكم وبين قرار العِلْم، وكَوَّنت أول مظاهر (التقض) و (القبض) في صورته الأولى.

وتكونت في هذا الحِصَمِّ الصاحب ثوابت المذهبية، وكانت على أقسام:

مذهب أهل السُّنة والجماعة مِنْ حَمَلَةِ عِلْمِ الشَّرْعِ الإسلامي الأخذين بالسَّنَدِ المتَّصل إلى النبي ﷺ، الراضين بما رَضِيَ به آل البيت، ومنهم مذهب الإمام زيد بن علي، ومذهب الإمام جعفر الصادق وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِنَ العلماء المعتدلين الأخذين عن منهج الإمام علي زين العابدين، والإمام محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق، ومن في دائرتهم من الأئمة والعلماء والأعلام، وتمخض عنهم ظهور أسس المذاهب الإسلامية الستة حسب الترتيب المرحلي: الزيدية، الإمامية الجعفرية، الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية.

الموقف الثاني: مدرسة الخروج المسيّس عن الملك العضوض والمطالبة بالقرار

وكان بروزها في أشدِّ مراحل الاضطراب والصراع الدموي، ولم يتهياً لرجالها البقاء والاستقرار، حيث إن غالب حَمَلَةِ المنهَجَيْنِ كانوا من المشتغلين بالصراع الفكري أو الصراع العسكري مع حُكَامِ الملك العضوض.

فالمدرسة الإمامية بُعيد وفاة الإمام جعفر الصادق تحولت إلى مدرسة جامعة لأشتات المعارضة السياسية والفكرية للملك العضوض إلا مَنْ رَجَمَ الله، وانطوى تحت اسمها كافة أهل المواقف المتنوعة من سبئية تسلسلت مواقفها من

عهد عثمان رضي الله عنه ، وغُلاة كان لهم دور خطير في ترسيخ الإفراط والتفريط في المذهب الإمامي السياسي ضد المنهج الأموي والعباسي السياسي، وأخذت مبدأ الفعل وردّ الفعل.

ومع هذا وذاك ففي المذهب الإمامي ومدرستهم المتشعبة من ينحى نهج التوسط والاعتدال، ولكن الصوت الغالب والحركة الفاعلة في الواقع الشعبي والسياسي هي لطرف الإفراط والتفريط كما هو في مظهر أهل السُّنة المسيّسة اليوم.

والمدرسة الزيدية اشتغلت أيضاً بالمعارك العسكرية، وتخاذل أتباعها عن الإمام زيد حتى قُتل، وتفرّع عنها مَنْ سبّاهم الإمام زيد بالرافضة، وهم الذين انطوا فيما بعد في المدرسة الإمامية، واضطرب فيها الأمر حتى ظهورها مرة أخرى في أعالي اليمن، ومن ثم برزت في الواقع العربي والإسلامي مدرسة ذات أبعاد سياسية ومذهبية زيدية مستقلة تعتمد في أصولها مسند الإمام زيد رضي الله عنه وتدعو إلى الثورة ضد الظلمة ومُحَمِّلَة المُلْك العضوض آنذاك، حتى تكونت لها دولة زيدية خاصة استمرت بين الظهور والخفوت على مدى قرون كثيرة ولها فقهها الخاص في النهج السياسي وقواسمها المشتركة مع أهل السُّنة والجماعة في فقهها المذهبي، كما أن لها تفرّدات مذهبية خاصة، وقد انتهت هذه المدرسة في

صورتها السياسية مع قيام ثورة اليمن في سبتمبر ١٩٦٢م وبقيت في صورتها المذهبية المحدودة.

مذاهب إسلامية أخرى

ومنها مذهب الخوارج الذي آل إلى ما عُرف بالمذهب الإباضي، وكان في بداياته مذهباً ناقياً على مواقف حُكّام المُلْك العَضُوض من جهة، وناقياً على منهج آل البيت من جهة أخرى، متخذاً شعار: (لا حُكْمَ إلَّا لله)، وملتزماً بالقتل والتكفير والقتال والثورة ضد كل شيء ينتسب للإسلام المذهبي، وقد جاء كردة فعلٍ سياسية ضد التحكيم من جهة، وضد الملك العضوض من جهة أخرى، وكان انتشاره بالسلاح والقتال، ولكنه في مراحلهِ اللاحقة وخاصة بعد تكون دولته المعاصرة في نواحي عُمان اتخذ بعض علمائه مواقف أكثر انفتاحاً وملائمة مع الواقع الجديد، وزال عنهم كثير من التعصب الموروث ضد المسلمين.

ثم مذهب المعتزلة، وهو أحد مذاهب التَّرف الفكري الفلسفي الذي ظَهَرَ في المرحلة العباسية، واشتغل رجاله بالمسائل الفكرية المعقَّدة كقولهم في مسألة (خُلِقَ القرآن)، واستمر من عهد المأمون العباسي حتى عهد المتوكل في صورته الرسمية، ثم خَفَّت لينحصر في أتباعه المرتبطين به في الواقع الشعبي.

وكم عانى المجتمع الإسلامي من صراع هذه الثورات الفكرية ونزاعها العسكري ولم يستقر بها للأمة قرار ولا استقرار، حتى ذهبوا جميعاً إلى عالم ربهم جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة، وبقيت أنفاس هذه الرؤى والمذاهب متوارثة في الأبناء والأحفاد ويؤثر صراعها التاريخي، وصنّف العلماء الكتب الكثيرة لخصرها وتفصيل دعواتها ككتاب (الملل والنحل)، و (الفرق بين الفرق) وغيرها، مع أن بعض هذه التحليلات والتعليقات للأسف قد أفرطت ونَحَت جوراً في الحديث عن بعض الفرق الإسلامية وعَبَرَت عنهم بما ليس فيهم.

ونحن هنا في كتابنا هذا نقرر المواقف الإيجابية التي نحا إليها أتباع منهج الإمام علي زين العابدين (بقية السيف وأتباع سادة صلح الإمام الحسن) ونقرر من خلاله منهج السلامة المتسلسل بسنده إلى رسول الله ﷺ وكافة رجاله وأئمنه الذين اختاروا لأنفسهم وأتباعهم حمل قرار العلم والنبوة جيلاً بعد جيل، ونزعوا بأنفسهم عدم الخوض في الجدل الفكري أو الصراع السياسي تاركين هذا الجانب للمدارس الأخرى ذات العلاقة بالقرار والمطالبة به.

ولخطورة هذا الشأن في مدارس آل البيت وخاصة في مراحلنا المعاصرة واعتقاد الكثير من الناس أن لآل البيت مدرسة واحدة وموقف واحد لا غير، وهو ما يُعرَف على المستوى الإعلامي بـ (الشيعة) و (الإمامية)، وأنه المذهب

الإسلامي الوحيد الذي تبناه أئمة آل البيت الأطهار، وأما غيره فلا - كما يقولون.

ومثل هذا الاتجاه والمنحى يحتاج إلى تمحيص وتعمق في قراءة تاريخ المذهبية الإسلامية وتطورها الزمني، ولذا فقد وضعنا في كتابنا هذا حقيقة الأمر المبين للجميع واقع التحولات ومجريات التكون للمدارس الإسلامية بعمومها ولمدارس آل البيت بخصوصها حسب فهمنا وفهم من تلقينا عنهم من أشياخنا لثلاث تصبغ المغالبات الإعلامية بديلاً عن الحقائق الإسلامية، غير مُقَرَّطين ولا مُقَرَّطين، ولا منحازين إلى ذي سلطان ولا ذي شئان، مفندين كافة الأطر التي برَّرَ فيها المحبِّون بطرفي الإفراط والتفريط، والمبغضون بطرفي الإفراط والتفريط، والمعتدلون القلَّة الذين ينازعهم الجميع ويغالبونهم في سبيل إخراجهم عن دائرة التوسط الشرعي ورَبُطَهم بأحد الطرفين المتنازعين عبر التاريخ السياسي والمذهبي.

منهج النمط الأوسط

تجتمع كافة المذاهب الإسلامية المتمية إلى مفهوم النمط الأوسط في منطلقها السياسي تحت سَنَدٍ علمي وشرعي واحد، منبثق من مشكاة واحدة، وهي مشكاة النبي محمد ﷺ - واضع أُسُس المدرسة النبوية الأبوية المُصانة بالعصمة والوحي - وتتفرع في القواعد والثوابت إلى فروع:

١ - مدرسة الخلافة الراشدة الجامعة لأصحاب رسول الله وآل بيته والأنصار والمهاجرين - الذي حصتهم النصوص وجمعتهم سلطة القرار الشرعي الواحد - وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ.

٢ - بقية السيف وسادة الصُّلح الواعي الحامل لواء السلامة من خلال الاهتمام بقرار العلم والنبوة بُعيد صُلح الإمام الحسن عليه السلام.

٣ - بقية السيف وسادة الصُّلح الواعي حاملي شعار المطالبة والخروج من خلال استعادة الربط بين قرار الحكم والعلم ملتزمين الحق في الاجتهاد المشروع.

ويخرج عن هذا التعريف كافة المتتمين إلى طرفي الإفراط والتفريط من كلا الطرفين (طرف السلامة وطرف المطالبة) السابق ذكرهما، فالأئمة الأعلام من ساداتنا آل البيت كلهم يدخلون في تعريف (النمط الأوسط) وهو التعريف الذي ينفي (الغالي المفرط، والجافي المفرط).

وما جرى للخارجين منهم على القرار كما أشرنا إنما كان خروجاً على الظُّلم في موقع القرار وليس إفراطاً ولا تفريطاً، بل اجتهداً مشروعاً تَكُونُ لديهم بالأدلة التي رجحت بعلمهم وتجربتهم وتناسبت مع مرحلتهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وانتهى هذا الاجتهاد بشهادتهم وموتهم رحمهم الله، ولا يسوغ لمن قام من بعدهم أخذ الثأر إلا أن يكون باجتهاد آخر وبوصية معتمدة.

وأما ما اتخذهُ التابعون والمحبون بعدهم من مواقف ومنازعة وصراع وثأر وما تولّد عنه مِنْ فقهٍ مخالفٍ للنهج المتواتر لدى أهل النمط الأوسط فيُحال إلى طرفي الإفراط والتفريط، سواء قِيلَ هذا التعليل مَنْ يعنيه الأمر أم لم يَقْبَلْ، فالقاعدة الشرعية هي التي تحكم الجميع، وليس التحولات ولا مواقف الأتباع، حيث وَرَدَ في الأثر: «خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ... يَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي»^(١).

(١) وفي رواية: «...الغالي»، سبق تفريجه.

والنمط الأوسط هو مواقف الأئمة الكرام ومن سار في درجهم وتأدب بأدبهم وانطوت محبته على الالتزام بهديهم، وبهذا التعليل تتحدد المجموعات الواعية لمفهوم (النمط الأوسط) داخل حِصَمِ التحوّلات والصراعات عبر الأزمنة كمنهج شرعي واحد لا ثاني له يدخل في دائرته كافة الأمة المسلمة الملتزمة بمنهج النمط الأوسط، والتي لا علاقة لها بسياسة المُلْك العُصُوص ولا بالغلو والإفراط الناتج عن مواجهة سياساته ممن ساروا على قاعدة (لكل فعل ردّة فعل).

فالنمط الأوسط لا ينطلقون من هذه القاعدة ولا يعالجون الأمور من خلالها لأنها تختلف عن درجات السمو في التقرير القرآني لهذه المسألة، فالحق سبحانه يقول: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، وهذا ما نسميه بقانون الفعل ورد الفعل، وأما قانون النمط الأوسط فهو ما حملته ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

والعفو لا يكون إلا بعد القدرة على ردّ الصاع صاعين ولو من بعض الوجوه، وبعد العفو تكون المشاركة في الإصلاح والبناء والتنمية بما يتناسب مع شرف المنهج وعدالة المطلب، وفي شأنه يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿فَسَلِّتْ: ٣٤﴾، فالعداوة الناشئة عن الاختلاف مسألة طَبْعِيَّة وهي سبب الفعل ورد الفعل، وأما قوله: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾ فهذه المواقف الأخلاقية الشرعية ضد طموح وجوح الطبع والرغبة، والذين التزموها حقاً في المدارس الإسلامية المتعددة هم (أهل النمط الأوسط) الذين ينطبق عليهم قوله: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿فَسَلِّتْ: ٣٥﴾.

والنص الشرعي «خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ»^(١) دليل كاف للربط بين المعاني الراقية وحملتها الأوفياء، أما ما يليق بغيرهم من طرفي الإفراط والتفريط فهو شذوذٌ خَرَجَ عن القاعدة الأصلية وتبناه الشيطان ليكون وقوداً للتحريرش والإثارة والاختراق، وقد اخترق به الواقع الإسلامي قراراً وعلماً وحياة وتحقق به القلق والفوضى والحروب والفتن ومُهدت به العقول والقلوب ومنهجية التمرحل لقبول فتنة المسيح الدجال الأعور طوعاً أو كرهاً.

(١) حديث: «خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ.. يَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْعَالِي»

وفي رواية: «...العالِي»، سبق تخريجه.

مقولات أئمة النمط الأوسط أمام الأحداث والتحويلات

عن عليّ رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: «أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ، لا تسبّوهم فإنهم أصحاب نبيكم وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء» رواه المجلسي عن الطوسي رواية موثقة عن الإمام علي بن أبي طالب^(١).

وكتب الإمام عليّ رضي الله عنه إلى معاوية في مسألة تعيين الإمام ومن الذي يعينه فقال: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإذا خرج خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»^(٢).

ويقول الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً ثمانية آلاف من المدينة وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم ير فيهم قدرى ولا مرجئ ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب

(١) (حياة القلوب) للمجلسي (٢: ٦٢١).

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٣٦٧.

رأي، كانوا يبيكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير»^(١).

ولما جاء أبو سفيان إلى الإمام علي رضي الله عنه قال له: «وليتم على هذا الأمر أزدل بيت قريش، أما والله لئن شئت لأملأنها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً، فقال الإمام علي رضي الله عنه: طالما غششت الإسلام وأهله فما ضرتم شيئاً لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً لما تركناه»^(٢).

ولما طعن رضي الله عنه وأرضاه قيل له: «مَنْ سيكون الإمام والخليفة بعدك؟ فقال: ما أوصى رسول الله ﷺ، فأوصي، ولكن قال: إن أراد الله خيراً فيجمعهم على خيرهم بعد نبيهم»^(٣).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً من قريش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «سمعتك تقول في الخطبة آنفاً: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هما؟ قال: حبيبي أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا

(١) الخصال للقمي (٢/٦٣٩)، بحار الأنوار (٢٢/٣٠٥).

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/١٣٠.

(٣) تلخيص الشافي للطوسي (٢: ٣٧٢).

الإسلام ورجلا قریش والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ من اقتدى بهما عُصِمَ
ومن اتَّبَعَ آثارهما هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم^(١).

وروى الطبرسي في الاحتجاج (٧٣) أن علياً رضي الله عنه قال في خطبته:
«خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر»^(٢)، وهذا الإمام الحسن بن علي رضي
الله عنه يجعل أحد شروط الصُّلح على معاوية بن أبي سفيان «أن يعمل ويحكم في
الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين» وفي نسخة
أخرى «... الخلفاء الصالحين» فقد روي عنه أنه جاء إليه نفر من العراق فقالوا
في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: «ألا
تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^[الحشر: ٨]؟ قالوا: لا.

قال: أفأنتم الذين ﴿يَبُوءُوا الذَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^[الحشر: ٩]؟ قالوا: لا.

(١) تلخيص الشافي ٤٢٨/٢.

(٢) المصدر السابق.

قال: أما أنتم قد تبرأتم من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]!! اخرجوا عني.. فعل الله بكم وفعل^(١).

وسأل رجل الإمام الصادق عليه السلام: فقال: يا ابن رسول الله: ما تقول في حق أبي بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: «إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه، فعليهما رحمة الله يوم القيامة»^(٢).

وجاء أناس من رؤساء الكوفة وأشرافها إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهما وهم ممن بايعوه فحضروا يوماً عنده وقالوا له «رحمك الله: ماذا تقول في حق أبي بكر وعمر؟ قال: ما أقول فيها إلا خيراً، كما لم أسمع فيهما من أهل بيتي (بيت النبوة) إلا خيراً، ما ظلمنا ولا أحداً غيرنا، وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله» فلما سمع منه أهل الكوفة منه هذه المقالة رفضوه، ومالوا إلى الإمام الباقر، فقال زيد: «رفضونا اليوم» ولذلك سُموا بالرافضة.

(١) كشف الغمة (٢: ٢٩١) تحت عنوان (فضائل الإمام علي زين العابدين).

(٢) إحقاق الحق للشوشري ١/١٦.

وفي خلافة الإمام علي ومبايعته قال الإمام علي مشيراً إلى صحة بيعة من سبقه من الخلفاء: «إنكم بايعتموني على ما بويح عليه من كان قبلي، وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار لهم»^(١).

إذن فهناك فرقٌ بين مقولات الأئمة من آل البيت سادة النمط الأوسط وتابعيهم بإحسان، الذين شملتهم الآيات الكريمة والثناءات النبوية الحكيمة وبين مقولات من جاء من بعدهم، وقد قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [التفح: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَتِيَّ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَادُّوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وتوثيق القرآن لهم وشهادته بإيمانهم دلالة لا نقض فيها .. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأفال: ٧٤]، ولم يدع الحق سبحانه وتعالى توثيقه

(١) ناسخ التواريخ (٣: ٢).

حتى من أولئك الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْجِعُ السَّيِّئَاتِ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِمَّنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَفَتْحُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، والحق ما قاله المولى سبحانه وتعالى عن أوليائه المؤمنين وهم الذين وصفهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

إذن فمن أين جاءت مقولة الإفك: هلك الناس بعد وفاة رسول الله إلا ثلاثة: أبو ذر، والمقداد، وسلمان؟ أو مقولة: كل الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي؟ وإن كان البعض من حملة منهج الشيعة ينكروها فإنها تدب في الواقع ديبس النار، وتمهد الطريق ومعها غيرها من المقولات الهاتكة الفاتكة ليل نهار في صفوف المسلمين، فلا الإنكار أوقف مدها ولا الإقرار بها أسهم في تصحيح الفهم الديني بين المسلمين.

والنبي ﷺ يقول في عموم الأمة من بعده: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١) ومن أفضلهم الصحابة وآل البيت الذين نفاهم حديث الإفك ولم يذكر منهم أحداً إلا ثلاثة من عامة الصحابة^(٢) كما سبق ذكره، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢٤/٥) وفتح) ومسلم في صحيحه (٤١٢/٢) والترمذي في السنن (٣٥٧/٥) وابن ماجه في السنن (٧٩٠/٢) وأحمد في المسند (٣٧٨/١) وابن أبي شيبه في المصنف (٥٤٨/٧) والطحاوي في مشكل الآثار (١٧٦/٣) في شرح معاني الآثار (١٥١/٤-١٥٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٥/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٧٨/٢) والخطيب في التاريخ (٥٢/١٢)، ٥٣ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

(٢) وهم حسان بن ثابت، ومسطح، وحننة بنت جحش.

لابد من كشف الأوراق لضرورة السلامة

إن تتبعنا لرجال النمط الأوسط من (بقية السيف وسادة الصلح) ومن غيرهم من آل البيت ومن تبعهم بإحسان ومما تأكد لنا ولغيرنا بعد التحليل والتعليل من سلامة مواقفهم أمام مجريات التحول وسلامة ألسنتهم من الخوض في الخلافة الراشدة ومساندتهم لبعضهم البعض في كافة المراحل وَجَب علينا أن نضع المقابلة الهامة لمعرفة ما جرى من خيانة وتسييس في التاريخ أوقعت الأمة في صراع مفتعل لا علاقة للإسلام به من كافة الوجوه، فهناك شيعة أبرار، وهناك شيعة ثوار، كما أن في عالم أهل السُّنَّة ما يشبه ذلك: أهل السُّنَّة الأساسية، وأهل السُّنَّة السياسية.

وهذان الطرفان في أهل السُّنَّة وفي أهل التشيع هما طرفا الإفراط والتفريط وهما يعملان بعلمٍ وبغير علمٍ لدمار منهج التوسط والاعتدال في الأمة منذ الزمن القديم، وهما - أي هذان الطرفان - موقع الحركة للشيطان وأعوانه لإفساد واقع السلامة بين الشعوب والجماعات والدول والمنظمات والكتل والأحزاب والفئات، وهما أيضاً موقع الاصطدام المستقبلي المُعد سلفاً لإنجاح الفشل المرتقب في الواقع الغنائي للأمة، وهما الصوت المدمر لسلامة شعوب الوحي القرآني في كل زمان.

ويتبنى هذا الموقف المتطرف ثلاثة أنماط من الأمة المنهوكَة: سياسي متآمر، أو عالمٌ متعصب، أو متممٌ مستغفلٌ، وبهؤلاء الثلاثة تنجح الخروقات والاختراقات، وتنجح الأديان والشعوب عُصَصُ التحريف والانحراف والانهيارات.

وأساس الفتنة في هذه الأطراف الثلاثة امتلاك القرار أو المشاركة فيه سياسياً أو علمياً أو شعبياً، وبين هذه الثلاثة المسميات عند امتلاك إحداها أثرٌ مهلك وخطر فتاك، فكيف إذا امتلك المفتون المواقع الثلاثة كلها؟

وقد لاحظنا في مسيرة التحولات القائمة على الصراع والفتن حشداً من المسميات المتنوعة الحاملة لواء الديانة لتحقيق بها عين الخيانة، فهناك شعارات ومفاهيم وحجب حقائق وعماية وتمويه، وفوق هذا كله قضاء وقدر وتسيير للأمور لا يعلمه إلا الله.

والقضاء والقدر لا يمنع راعباً في الحق أن ينصره ولا يقيد منطلقاً إلى فعل خير يود أن ينشره، وإنما يُلْزَمُ المنطلق في طريق السلامة أن يعلم حقيقة أنه في هذا الاتجاه الشائك غير مسلّم له من غيره، وربما تمكن غيره من رسم السلامة بأسلوب غير أسلوبه، فالْمُؤْمِنُ مَبْتَلًى وَمُتَحَنٍّ، وفي سلوك السلف الأول والأخير قدوةٌ وأسوة.

فلم تَسَلِّمْ المرحلة الإسلامية الأولى على عهد صاحب الرسالة من الأذى والشتم والتهكم والمضايقة سواء في المرحلة المكية أو المدنية، وربما كان في مرحلة المدنية زيادة بلاء وابتلاء ولكنها مراحل تمكين وتمتين، خاصة أنها جمعت بين كل وسائل المعالجة، كما جمعت بين كل المتناقضات: الكفار، المنافقون، اليهود والنصارى، أهل الأوثان من العرب، المرجفون، الذين في قلوبهم مرض، وغيرهم ممن لا يعلمهم إلا الله، قال ﷺ: ﴿وَالْأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وكل هذه النماذج المتناقضة كانت في مواقف منازعة بينة ضد الحق الواضح حيث كان الجميع ممن يتتبعون لهذه المجموعات يعملون لهدف متشابه ألا وهو تطويق الحق وإضعافه، بل واتهامه بالكذب والبهتان والتعدي على ما يروه حقاً من وجهة نظرهم ولم يتورع أحد من هذه المجموعات أن يوظف كافة الأحداث الجارية لمصلحة موقفه ضد موقف رسول الله ﷺ حتى إن بعض المسلمين وقع في المحذور مع كثرة التأثير بمجريات الدعايات والسعابيات والإرجاف ﴿وَفِيكُمْ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] كما هو في قصة الإفك وتحولها مع الزمن إلى مدرسة تتبنى التهمة وتحيك حولها المؤامرة حتى بعد نزول البراءة، وتحقق بها العقل المتناقض

عبر المراحل لتكون واحدة من نقائص الدعوة إلى الله وهدم مفهوم البناء الإسلامي الأول، وإحدى مواد الصراع المكنن إلى اليوم.

وكان ﷺ في مرحلة المدينة مالكاً قرار الحكم والعلم وجزءاً من القرار الشعبي، ولهذا كان لابد لتلك القوى المناهضة أن تستسلم نوعاً ما وتستخدم المبررات والأساليب والحيل والأحاييل كي ترجف الواقع وتغنى الخيرة في الناس.

إن قوة الوحي القرآني وإيمان العُصبة السابقة للإسلام كان هو العمود الفقري لاستقامة أمر الدعوة والرسالة بين عشرات المتناقضات التي يعمل الشيطان جاهداً على إثارتها بواسطة وكلائه في المرحلة.

ولهذا فإن التربية التي كان ﷺ يحرص على بقائها في الواقع الإنساني كانت محصورة فيمن علمهم ﷺ المواقف وكانت لهم في هذا الشأن سابقة ومعاصرة.

والمقياس الحق في علاقتنا بالإسلام أن نبحت عن المواقف التي صنعوها - بأمر الله تعالى - أولئك القوم في حياة المصطفى ﷺ في أشد مراحل الحرج لنعطهم الحق في مواقفهم التي اجتهدوها بعد انقطاع الوحي وموت رسول الله ﷺ.

وفي ذات الوقت نضع الأقاويل والأضاليل التي تنتجها المدرسة الأنوية
بـ(مواقفها السلبية) ونردها على أصحابها ومن لف لفهم من المرجفين عبر
الأزمة والعصور.

إن أمامنا عدة مجموعات يجب أن نتعرف عليها في مفهوم القدوة الحسنة
بعمومها:

- ١- رسول الله ﷺ.
 - ٢- الخلفاء الراشدون الوارثون قرار مرحلة النبوة بالإجماع.
 - ٣- السابقون للإسلام من العشرة المبشرين وأهل بدر.
 - ٤- آل البيت الأطهار.
 - ٥- التابعون لهم بإحسان من العلماء والأولياء والصالحين من رجال
الأخلاق وأسانيد العلم.
- وتتبعها في التعرف والاقتداء قراءة مواقف التميز لدى الآل الكرام
والصحابة الأعلام حسب المراحل:
- ١- المرحلة الأولى: المرحلة المكية والمدنية ومواقف صاحب الرسالة.

٢- المرحلة الثانية: مرحلة الخلافة الراشدة والنظر إلى مجريات الاختلاف بعين المواقف الشرعية على عهد رسول الله وليس على أساس تحليل المواقف بعين الناقضين والمعرضين والمفسدين.

٣- ويدعم هذه المرحلة الوقوف الواعي كما سبق ذكره في الفصول السابقة النظر إلى مواقف:

- السيدة فاطمة رضي الله عنها، وقد قبلت الواقع وآثرت السكوت وحفظت رأيها في كافة الأمور، ولم تثر معركة ولم تشهر سلاحاً، وقد اختارها الله إلى جواره والأمر لا زال في بداياته.
- الإمام علي بن أبي طالب: وكان له رأي شخصي في شأن الشورى لا في شأن التعيين، وتبلور الموقف الأخير على البيعة والمشاركة في بناء المرحلة دون تقية ولا خوف، ويعتمد هنا الأخذ برأي الإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما في الموافقة لأن الرأي الآخر الذي عارض الخلافة اعتمد في نقض الثوابت على ما يعزى لهما من الحق المنصوص فيها يعتقد، وقد أوقف العمل بهما كل من علي وفاطمة رضي الله عنهما ولم يوصيا أحداً بثورة ولا بموقف معارض.

ولأن بيت النبوة وهو بيت الوراثة المعترف به لدى الجميع سواء على مستوى أهل الحكم أو أهل العلم فلا بد من دراسة تميزهم في كون فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ثمرة من ثمار الوحي الشريف زواجاً ومقاماً وذرية، وتشير الأحاديث والآيات الكثيرة إلى تميزهما وتفردهما الشرعي.

وبعد موت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بقي للإمام علي رضي الله عنه التميز والتفرد من جهتين:

الأولى: كونه أصل الذرية المباركة الباقية من أهل الكساء.

الثانية: أنه جمع بين فضيلة الآل وفضيلة الصحبة لرسول الله وفضيلة الأخوة وفضيلة العلم وفضيلة السابقة للإسلام.

وهذا هو الأصل في تميزه وتفرد من حيث الخصوصيات أما من حيث المفاضلة المعروفة في ترتيب الخلافة فذاك أمر قد أشيع الفصل فيه ولا ننازع أحداً بشأنه.

إننا في إشارتنا هنا للإمام علي رضي الله عنه لا نغير ما اتفق عليه علماء السُّنة في ترتيب الأفضلية، وإنما نحن بصدد وضع مفهوم التميز والتفرد الذي نبينا عليه ما يتعلق بفقه التحولات ودورها، أي: مواقف الإمام ومواقف الزهراء في

تثبيت مرحلة الخلافة الراشدة وسلامة انتقال قرار الحكم والعلم من عهد الرسالة إلى عهد الاجتهاد الشرعي على الوجه التام.

فموقف الزهراء عليها السلام - كما سبق ذكره - موقفٌ من مواقف السلامة وليس من مواقف الإثارة والتحريض ضد القرار، وأياً كان فقه التبريرات الذي نسجته مدارس النقض لقرار الخلافة فإن مواقف الصدور لا تشفع لهذا الفهم الخاطيء ولا تؤيده من كافة الوجوه.

وقد فهم البعض من قضية (فدك) ما أوقعهم في سوء الفهم وسوء النتائج في الولاء والبراء، والحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع أنه لما توفي رسول الله ﷺ وبويح أبا بكر أرسلت فاطمة - عليها السلام - تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله على نبيه من (فدك) فأجابها أبو بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال» يعني مال الله، وقال رضي الله عنه: «وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله ﷺ التي كانت في عهده وعملي فيها بما عمل منها رسول الله ﷺ»، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلي من أن أصل قرابتي»، ولما ذكر الصديق هذا لفاطمة - عليها السلام - تراجعت عن ذلك ولم تتكلم بعد في هذا الأمر حتى ماتت.

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «أن أبا بكر قال لها: إن لك ما لأبيك. وكان رسول الله ﷺ يأخذ من فذك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله ولك علي عهداً أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك، وأخذت العهد عليه به»^(١).

مع العلم أن (فذك) لم تكن تخص فاطمة الزهراء - عليها السلام - وحدها، بل كان من الوراث ابنتا الصديق والفاروق ولم يورث الصديق والفاروق ابنتاهما كما لم يورثا فاطمة عليها السلام، وكذلك العباس عم النبي ﷺ وهو من ورثته، وعلى ذلك فلم يرث، وذكر السيد مرتضى الملقب بعلم الهدى إمام الشيعة أنَّ الأمر لما وصل إلى علي بن أبي طالب كلم في رد فذك فقال: «إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاء عمر» اهـ.

ولما سُئل أبو جعفر محمد الباقر عن ذلك بقولهم: «أرأيت أبا بكر وعمر: هل ظلماكم من حقكم شيئاً؟ أو قال: ذهباً من حقكم بشيء؟ فقال: لا، والذي أنزل

(١) اهـ نهج البلاغة لابن أبي الحديد الميمني البصري ١٠٧/٥.

وفيه أيضاً: «أن أبا بكر كان يأخذ الفيء (أي: فذك) فيدفع إليهم (أهل البيت) منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، فكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك».

القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل.
قلت: جعلت فداك أفتتولاهما؟ قال: نعم ويحك تولهما في الدنيا والآخرة وما
أصابك ففي عنقي^(١).

ولم تتجيش ضد القرار جيوش ولا حتى مجموعات تحت قيادة أحد من آل
البيت باعتبار ما يقوله البعض من شعورهم بالظلم والإقصاء، وما كانت
عبارات العباس رضي الله عنه والإمام علي عن التخوف للأمر بعد رسول
الله ﷺ إلا رأي يؤيد سكوت رسول الله ﷺ عن مسألة التعيين للوصاية من بعده.
وفي كل الأحوال فالعباس والإمام علي رضي الله عنهما هما المعنيان بالتوقف
أمام القرار ورفضه وإعادة الحق إلى نصابه ومعهم المؤمنون السابقون كلهم إن
كان القرار قد خرج عن أهله.

ولأنهم - أي آل البيت - قد قبلوا الأمر وصاروا جزءاً من تثبيته فمواقفهم
تعدل الاجتهاد الشرعي القائم على النص، لأنهم أئمة الهدى، ولا يقبل في حق
أئمة الهدى رضاهم على الخطأ فيما دون القرار، فكيف بالقرار؟

إن فقه المواقف أو ما سمي بسنة المواقف في فقه التحولات يؤكد خطأ
الطاعين في سلامة موقف أهل البيت من قبول القرار ومشاركتهم فيه، ولهذا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٢ / ٤.

اضطر أولئك الناقضون أن يجترعوا فقه التقية للخروج من الأزمة التي اتهموا فيها الإمام علي ومن معه من أهل بيته بالسكوت.

والسكوت في فقه التحولات موقف يقتدى به ويعتمد عليه إذا صدر من أئمة الهدى، وهو أسلم وأقوم من سلسلة الروايات والشناعات التي حيكت حول القرار ومتعلقاته، فأصحاب رسول الله ﷺ أوثق وأصدق من أن يرددوا بعد رسول الله لمجرد الرغبة في السلطان والحكم، وهذا التوثيق ليس اختراعاً ولا عاطفة ولا انحيازاً وإنما تأييداً لنصوص القرآن والسنة في سلامة مواقف واجتهاد السابقين إلى الإسلام وكذب وإفك الناقضين حصانة الصحابة الأعلام.

وإذا كان الأمر لدى فريق قد بنى على النص ولدى فريق آخر على العاطفة.. فإننا نضع النص والعاطفة معاً والعقل في ميزان القراءة الواعية لمواقف النبوة هذه المواقف التي قال عنها الإمام الحسن لأخيه: «إني لأرى أنها لا تجتمع لنا الخلافة والنبوة».

فالنبوة هنا هي الميراث النبوي كله مع المواقف الأخلاقية المحمدية، وهي سلوك الأئمة الأكابر - أي آل البيت - من النمط الأوسط، وقد احتفظ بها رجالها وحرصوا على عدم تدنيها بتحريش الأبالسة، ورموا بالقرار السياسي

لمن يتهافنون على امتلاكه واستحلابه واستشاره إلى أن يقضي الله أمراً كان منفعلاً.

إن هذه المسألة (ترك القرار السياسي) مفصل هام في تاريخ الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ وقد أشار ﷺ إلى ذلك وعبر عنه بمفهوم النقض في قوله «أولهن نقضا الحكم» والحكم هو القرار السياسي، ولم يشر ﷺ إلى عودته - أي: القرار - إلى وضعه الطبيعي، بل أشار إلى حصول نواقض أخرى في قرارات الإسلام كلها، كما أشار إلى أهمية دور الشعوب في هذه المرحلة، وهم كما يظهر حملة المنهج الأبوي النبوي الثابت لقوله ﷺ: «كلما نقضت عروة تمسك الناس بالتي تليها».

فالساسة والقادة والأقناع من أصحاب الطموحات والعقد والعواطف والجهالات لا يشغلهم غير نقض الحكم إذا لم يرق لهم شأنه أو المنافحة عنه والموت دونه إذا ملكوه، ولهذا فهم في أحيان كثيرة يسهمون بعلم وبغير علم في إنجاح مشروع الشيطان في نقض العرى المتلاحقة، وربما التآمر عليها مع من يمنحهم البقاء في موقع القرار، وخاصة في عصور الغطاء والوهن، وقد آل أمر القرار والترشيح لامتلاكه بيد المستثمرين والمستعمرين.

إن قضية الحكم أو القرار السياسي قضية واحدة، وإنما الاختلاف في المراحل والأوعية والسقوف الحامية للقرار، ولهذا فإن مسألة الاهتداء والاقتداء في قضية القرار واعتبارها جزءاً من أمر الديانة والتدين يلزم المتمسك بهذه المبادئ أن لا يقع فريسة الأبواق وهيشات الأسواق، حتى وإن كان الشيطان قد سلب الشعوب ثقافة الاهتداء والاقتداء بالأثبات، ومنحهم الإعجاب والجدلية والطموح والتنافس والعزم والتصميم على حد الامتلاك أو حب الانتقام، بعد أن غلف هذه المسميات الطبيعية بمسميات علمية ذات تأثير إعلامي عجيب وخاصة في المتأثرين من أحفاد (بقية السيف وسادة الصلح) دون علم واع ومعرفة شرعية مسندة، وهذا موقف هام غاب عن كثير منهم كما غاب أساس منهجيتهم الأبوية.

ولأجل هذا فإن الهجمات المتكررة من أعداء هذه المنهجية والمغرضين حولها والمدفعين أو المتنفعين يعملون جاهدين لزعزعة الثقة بثوابت أئمة آل البيت عموماً وبثوابت مدرسة حضرموت خصوصاً، وربطهم غاية ومصيراً ومذهباً وروية بمذاهب الإفراط والتفريط المعروفة تحت العديد من المبررات المحبوبة للزج بهم وبغيرهم في أتون معركة الصراع على القرار، حتى لا يبقى أحد من آل البيت يحمل منهجية النمط الأوسط، ولا يبقى في الأمة من يرغب السلامة

الشرعية، وهنا يتحقق مطلب الشيطان ويتصر الدجال ويستلم الدجاجة العائد، وأقول هذا وأكتبه؛ وقد تحقق الجزء الأكبر من هذه السياسة في الواقع المخدول وللأسف.

إن الكثير من إخواننا المندفعين والمتفعين ومن غيرهم لا يرضيهم مثل هذا التعليل مع علمهم بعدالته وصحته، لكن الوجهة السياسية التي لم يتخلصوا من عقدها تمل عليهم التحايل ضد هذه التعليقات وتصنيفها كما يحلو لهم وكما ترضي عقدهم المألوفة.

ولأن هذا التصنيف والتحايل من أولئك لا يمت إلى الحقيقة المفقودة بشيء فإننا نصر ونجزم على وجوب البحث الواعي عن الحقيقة المفقودة وعن مصادرها، ومصادرها ليست عند الطامعين ولا الطامعين، وإنما لدى الزهاد والأئمة الصادقون.

إننا قد تخلصنا من عقدة البحث عن القرار ومسؤولياته، فلنبدأ لا نميل إلى قراءة فقه السياسات والتسييس وإنما نضعها في موقعها من فقه التحولات فقط، وندعو الله تعالى أن يجزى آباءنا ورجال مدرستنا الأبوية النبوية خير الجزاء على ما فعلوا.

وإذا كان لنا نصيب من التحديث والتجديد فلن يكون في البحث عن القرار وامتلاكه، وإنما في خدمة الشعوب وبناء الأجيال ومناصحة حملة القرار إن كان هناك مناصحة مفيدة ومجدية، وإلا فإن ما رسمه الرجال في بناء الحياتين كاف لنا ولغيرنا والله الحمد.

وعلى الطامعين والطامحين أحد أمرين:

إما أن يصنفونا مع من يعتقدون فيهم الخيانة عبر التاريخ ويظل حكمهم جزءاً من أجزاء الوراثة والتوريث للحقد والضغائن الطبيعية المركبة، وهذا عين المخالفة للحق.

وإما أن يقرؤوا المواقف الشرعية بعيداً عن ركام الأحداث والتحويلات وما ترتب عليه من أحقاد وضغائن، ويتعلموا وضع كل عنصر في موقعه من الحق والباطل، بعد النظر الواعي للأمور والمواقف الأئمة الصدور، ليجنبوا أنفسهم أولاً الموت على الإفراط أو التفريط، ولينقلوا إلى الأجيال القادمة سلامة المواقف وحسن أخلاق أئمة آل البيت وعدالة الصحابة الأئبات، كما هي في لسان النبوة ذاتها، وليس من منطلق الأحداث المتحولة، إضافة إلى تحديد سمات الخيانة لدى من دمغتهم النصوص النبوية، دون تعميم التهمة والصاق الانحراف بالأئمة العدول ومن حصنتهم سابقة الإسلام وبشارات رسول الله ﷺ.

إِنَّ آلَ الْبَيْتِ مِنْ (بقية السيف وسادة الصُّلح الواعي) ومن تبعهم يخالفون أهل الإفراط والتفريط فيما جنحوا إليه من إطلاق السب والشتم والوقعة في المبشرين بالجنة وأهل بدر، ويتعففون عن تناول غيرهم أيضاً باللعن والسب الصريح الذي تتبناه مدارس الإفراط والتفريط، ويتذكرون قول المعلم الأعظم عليه السلام: «إني لم أبعث لعناً وإنما بُعثت رحمة»^(١) وهم بهذا الموقف قد تخلصوا من عقدة الطبع الراغبة في الانتقام وأخذ الحق باليد واللسان، واستعاضوا بما عند الله تعالى الذي ينصر المظلوم ويدفع عن الحق وأهله، ويعوض المسلوبين ما سلبوه بأفضل وأحسن وأكرم مما في الحياة الدنيا، بل إن كسر السيف الذي اختاره الفقيه المقدم في القرن السادس لم يأت اعتباطاً ولا جهلاً بالنصوص، بل التزاماً لها، ففي الحديث الذي رواه ابن أبي شيبه في مصنفه ٢٥/٢١ تحقيق محمد عوامة: «قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: إنها ستكون فتنة المضطجع فيها خيرٌ من الجالس، والجالس خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي. فقال رجل: يا رسول الله: ما تأمرني؟ قال: مَنْ كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٣٥/٢) من حديث أبي هريرة قال: «قيل: يا رسول الله: ادعُ على المشركين. قال: إني لم أبعث لعناً، وإنما بُعثت رحمة».

ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، ومن لم يكن له شيء من ذلك فليعتمد إلى سيفه فليضرب حده على صخرة، ثم لينجُ إن استطاع النجاة».

فقه القرار وموقعه من التحريش والسلامة

ما هو القرار؟

وما هي السياسة؟

وما هو التسييس؟

ومن هم الساسة؟

القرار هو القوة الفاعلة في شؤون الأمة سلباً وحرباً وقوة وضعفاً وعقيدة ومعاملة.

والسياسة هي إدارة دفة شؤون القرار بكافة وجوهه.

والتسييس هو تطويع الإدارة وفق المصالح الاختيارية.

والساسة هم حملة القرار بالجدارة أو بغيرها.

وقد أعطى الإسلام القرار موقعاً هاماً في حياة الشعوب وسلامة استقرارها، وجعله قسمين أساسيين:

١ - قرار الحكم (الخلافة والشورى).

٢ - قرار العلم والأخلاق (النبوة والتزكية).

وجرى الاختلاف بين المسلمين مجراه في فهم (امتلاك القرار) ومن هم أهله، فهناك من يدمج بين قرار الحكم وقرار العلم والنبوة في أسرة واحدة ولا مجال للغير، وهناك من يجعل قرار الحكم قائماً على الشورى بين المسلمين، أما قرار العلم والنبوة فله أهله من أئمة آل البيت وعلماء الملة الصدور.

وقد أدى اختلاف الفهم لدى بعض المسلمين إلى افتعال الصراع والنزاع والخروج عن الجادة في تعليل أمر القرار وامتلاكه وتحول الأمر إلى فرق وجماعات وأفكار ورؤى ومدارس ذات تيارات سياسية.

والتيار هو التوجه الاندفاعي القاهر المحرك لجملة الموجودات نحو هدف معين، ولكل تيار بواعثه وأسبابه ونتائجه وثمراته وفوائده واستثماراته، والسياسة هي إطار لفكرة معينة وتوجه مبرمج قد يكون شرعياً - وهذا ما نحن بصدد - وقد يكون وضعياً أو مُستثمراً للجانب الشرعي ومُفرَّغاً محتواه.

فالتيار السياسي لا بد أن يكون له إطار يحويه، أو يحتويه وله قرار وقوة تحميه، وله استراتيجية وضوابط تهديه، ومنطلق السياسة في الإسلام النصوص، وضابطها الأخلاق النبوية أو ما سميناه في (فقه التحولات) بسنن المواقف، حيث إن الأخلاق ضابط شرعي مرن لتطبيق النصوص واستجلاب النفوس والعقول لما فيه مصلحتها الدينية والدنيوية.

ومنطلق التسييس في منظور الإسلام تغليب الطبع على الشرع، أو حصول
دخن في الولاء، أو استجابة لعوامل نفعية.

والسياسيون الأولون كان ضابطهم الالتزام بشريعة الوحي والاجتهاد
الشرعي القائم على سلامة الولاء وحسن الأخلاق، فكان اجتهادهم مشروعاً
وإن خالفوا رغبات أو فهم واجتهاد آخرين، وكان ضابط سلامة تطبيقهم لهذه
النصوص رصيدهم الإيماني ومواقف الرسول منهم وتوثيقه لهم ومعالجته معهم
لهذه المسألة في حياته الأولى بمكة وحياته الثانية بالمدينة.

ومع هذا وذاك فالسياسة لم تسلم في الأولين من عثرات، ولكنها مع عثراتها
في الصدور السابقين لم تخرج عن ضوابطها الشرعية، فهم في كل أحوالهم عُدُول.
وعندما سرى الخلل فيها بعد إلى مواقف الساسة سرى الخلل إلى السياسة،
ومن خلال السياسة جاء التسييس، فانقلب المجنّ على أهله، وكما سبقت
الإشارة فإن أهل الإسلام اختلفوا في فهم الخلل المؤدي إلى فساد السياسة وطال
الجدل في هذا الباب ولم ينغلق، ولكننا هنا نقرر موقف النمط الأوسط من (بقية
السيف وسادة الصُّلح).

وقد أمرنا بالاقتداء بهم والسير على نهجهم وصارت مدرستنا إحدى
مدارس النمط الأوسط، تعالج الأمور في الحياة الاجتماعية بأسلوبهم الواعي

ومنهجيتهم الوسطية الأبوية، ومن هذه المنهجية صارت السياسة تعادل المواقف بضوابطها، ففقه المواقف في فقه التحولات هي سياسة العدول أمام التحول، وبهذا تكتسب الشرعية؛ لأنها مواقف الأئمة الهداة من النمط الأوسط.

ولابد لنا أن نفرق بين مواقف الأئمة الهداة من النمط الأوسط وبين الأئمة من طرفي الإفراط أو التفریط، فلكلٍّ حُجَّتُهُ واجتهاده، والخلل السياسي في فهم مدرسة النمط الأوسط هو ناتج عن اختيار ذاتي يخالف لرأي الجماعة ومنازع لحكم الشورى، أو أن يكون موقفاً عكسياً ضد اتفاق الجماعة، ورافضاً للشورى. كما أن الخلل السياسي يحدث بفرض رأي الفرد فيها لا نص له ولا إجماع عليه، ويترتب عليه تغيير سنة شرعية إما بالخدعة أو الحيلة أو قوة السلطان أو السلاح.

وهناك في الإسلام نصوص شرعية تؤكد حصول الخلل السياسي في بعض الأفراد والمراحل وحمة القرار، ومثل هذه النصوص تعد في فهم رجال النمط الأوسط حُجَّةً على الفرد وعلى المرحلة وعلى حامل القرار، ومؤكد شرعاً حصول الخلل السياسي؛ ولو كان الفرد أو المرحلة أو حامل القرار يعمل على خدمة الإسلام، كما هو النص في مسمى الملك العضوض وأغيلمة قریش وغيرها.

ويتربط على حصول هذا الخلل السياسي موقفاً لدى أتباع النمط الأوسط يتلاءم مع الحالة ذاتها أو مع المرحلة أو مع حامل القرار، وليست شرطاً في قاموس النمط الأوسط أن يكون الموقف قتالياً أو مطالبة بالقرار أو مشاركة فيه، وإنما قد يكون الموقف الأولي والأنفع هو الانسحاب الإيجابي والسكون وعدم المشاركة في الظلم والتسييس، وهذا ما فعله جملة من رجال النمط الأوسط من (بقية السيف وسادة الصلح الواعي) رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومنهم آخرون خرجوا على الظلمة وقاتلوا وقُتلوا، فصار موقفهم الاجتهادي درساً إضافياً لأئمة السلامة في منهج النمط الأوسط يترتب عليه تأكيد موقف المتزمتين بأمر السلامة مع حملة القرار مقابل خدمة الشعوب في التزام الاستقرار طيلة مراحل الخلل السياسي، وإلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

إن القراءة الواعية لمواقف رجال النمط الأوسط هي جزء لا يتجزأ من قراءة (أدب النبوة) التي يترجح بها مفهوم الكتاب والسنة على فهم معنى قوله ﷺ: «عليكم بسُنِّي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...»^(١)، ومن هذه القراءة الواعية قراءة مواقف الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه.

(١) تقدّم تحريجه.

فالعجيب في هذه المرحلة أن الإمام الحسن لم يكن كغيره مطالباً بقرار أو خارجاً ضد ظالم لإعادة القرار بل كان الحسن رضي الله عنه متربّعاً على عرش القرار بجدارة، ولكنه أحسن القراءة لأخلاق النبوة عندما رأى المسرح حافلاً بالانفجار أو يكاد، فاختار السلامة، وكانت السلامة من نموذج خاص، وهو التضحية بالقرار ذاته، وقد أشرنا إلى مثل هذا في الفصول السابقة.

ولكننا هنا نشير إلى أن هذا الموقف الخطير والخطير جداً قد دعم المنهج الأوعى للنمط الاوسط حول القرار السياسي من وجهين:

الوجه الأول: قراءته الواعية للمرحلة وما تقتضيه الضرورة الملحة من اتخاذ المواقف وتحديه لكافة النماذج المتنازعة داخل إدارته بمن فيهم الحاملين له على قبول البيعة، وحمل القرار السياسي بالإجماع.

الوجه الثاني: تأكيد سلامة المنهج الواعي بالنص النبوي الذي يدحض كافة أقاويل الأطراف المخالفة لموقفه الجديد: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١).

(١) تقدّم تخريجه.

لقد رأى الإمام الحسن عمق الخلل السياسي لدى معارضيه سواء في عصر والده أو في عصره، بصرف النظر عن مسميات العدالة التي يتحدثون عنها، والحجج التي يقيمونها في سبيل الاستمرار.

كما رأى أيضاً خللاً سياسياً لدى المواليين له في المرحلة ورأى أن قضية الامتلاك للقرار السياسي صارت لدى الجميع إلهاً يُعبد، فضحى بالصنم المعبود، وكان شجاعاً ومن نمط خاص.

لقد اتخذ الإمام الحسن قراراً عالمياً أسهم في حفظ النبوة كلها ليرز لنا وللعالم كله منهج السلامة وشرف (بقية السيف وسادة الصلح الواعي) ورجال النمط الأوسط وأئمة الهدى من حملة مرتبة الإحسان إلخ.. وحفظ أيضاً دماء أهل الإفراط وأهل التفريط معاً، فاستحق بذلك شرف السيادة.

إن قرار السيادة الممنوح من رسول الله ﷺ للإمام الحسن كان قراراً عالمياً منذ ذلك التاريخ إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، حيث إن الفتنتين العظيمتين المتقاتلتين من المسلمين ازداد عددها وعدتها بعد مقتل الحسين فيكون قرار الصلح المدعوم بالنص علاجاً لهذه المشكلة حتى قيام الساعة، وكما عين رسول الله لمن بعده تربة الحسين الذي يستشهد عليها وأبدي حزنه من هذا الموقف الشديد إلا أنه لم يقرر موقفاً يجب اتخاذه ولا سنة شرعية، وإنما عين ﷺ شرف

موقف السلامة الذي يتبناه الإمام الحسن من قبل ليحقق دماء الجميع، وينال به شرف السيادة في تاريخ الإسلام كله.

ولم يكن الإمام الحسين طامعاً في حكم ولا طامحاً لامتلاكه، وقد أثر عنه قوله: «والله ما خَرَجْتُُ أَشْراً ولا بطراً، وإنما خرجت للإصلاح في أمة جدي»^(١) وإنما كان موقفه هو موقف والده الإمام علي رضي الله عنه كما رواه الشيعة أنفسهم فعن كتاب (مَنْ لا يحضره الخطيب) قال المؤلف: «لم تكن الخلافة في قاموس الإمام علي رضي الله عنه هدفاً بحد ذاتها وإنما هي وسيلة لتحقيق هدف فهناك من يستهدف الخلافة والكرسي ولو على جماجم الأبرياء ودماء البائسين، بينما أمير المؤمنين يجذب نعلأ أمام أحد الصحابة ويسأله عن قيمة هذا النعل، قال: لا قيمة لها، قال: إن الله ليعلم أنها أهم عندي من خلافتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»^(٢).

(١) الأدب السياسي الملتزم في الإسلام، ص ٩٧.

(٢) مَنْ لا يحضره الخطيب ٤/ ١٧١-١٧٢، والإمام الحسين إنما دفع به السفهاء الذين ألزموه الخروج بوضع بيعتهم في عنقه، ولم يتأخر رضي الله عنه لاستجابة الداعي وقد وصل إليه ما يقتضي الإلزام، ولو كان مقتل الحسين رضي الله عنه مفصلاً شرعياً لاتخاذ موقف ما ضد الأمة كلها فكان لا بد أن يبرز في النصوص المأثورة عن رسول

الله ﷺ وقد علم ما يؤول إليه الحسين في الأمة، ومع علمه ﷺ بذلك فقد نهى عن البكاء عليه كما جاء في ترجمة الحسين في سير أعلام النبلاء للذهبي عن أبي أمامة.

وكما هو في مقولته عن الإمام الحسن وكما هو في سكون الإمام علي وعدم ثورته وخروجه رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لبناته: لا تبكوا هذا - يعني حسيناً، فكان يوم أم سلمة، فنزل جبريل، فقال رسول الله ﷺ لأم سلمة: لا تدعي أحداً يدخل، فجاء الحسين، فبكى، فجعلته يدخل يدخل حتى جلس في حجر رسول الله ﷺ فقال جبريل: إن أمتك ستقتله. قال: يقتلونه وهم مؤمنون؟ قال: نعم، وأراه تربته» [رواه أحمد في المسند (٢٩٤/٦) من حديث عائشة وأم سلمة بسند صحيح.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «استأذن ملك القطر على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: يا أم سلمة احفظي علينا الباب، فجاء الحسين فاقتحم وجعل يتوئب على النبي ﷺ والنبي ﷺ يقبله فقال الملك: أُحْيِهِ؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يُقْتَل فيه، قال: نعم. فجاء بسهلة أو تراب أحر، قال ثابت: كنا نقول أنها كربلاء» [رواه الأمام أحمد في مسنده] [رواه أحمد في المسند (٣/٢٤٢، ٢٦٥) والطبراني في الكبير (٣٨١٣) قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٩٠) راه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني بآسانيد وفيها عمار بن زاذان وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح].

تشير الدلائل إلى أن كافة أهل الحل والعقد الذين يعينهم أمر الشورى والحكم في مكة والمدينة لم يستعجلوا أمر البيعة للإمام الحسين رضي الله عنه ولم يستحثوه الخروج كما سبقت الإشارة إليه، بل كانت بيعة أهل الكوفة هي سبب خروجه ثم مقتله.

وفي كل الأحوال ورغم فداحة الحدث الذي كان جزءاً من قضاء الله وقدره، فالتبعة التي عادت بمقتل الحسين لا تلزم المسلمين أن يتحملوا القصاص أو الأخذ به، وإنما تعود المسألة على حملة قرار المُلْك العضوض آنذاك، وفي جزء منها على الذين خذلوه وتركوه فريسة للظالمين بعد مبايعته وتحمله ثقل الأمانة، وهذا ما تقرره كتب القوم أنفسهم، قال في كتاب (الأدب السياسي الملتزم في الإسلام) للدكتور صادق أذينة والدكتور حسن عباس نصر الله ص ٩٧: «ثم دعاه أهل الكوفة على أن يبايعوه بالخلافة وكتبوا إليه أنهم في جيش مهيباً للوثوب على الأمويين فلبى دعوتهم وقال: والله ما خرجت أشراً ولا بطراً إنما خرجت للإصلاح في أمة جدي، لكن شيعته خذلته بعدما اشترى عبيد الله بن زياد ضمايرهم ودينهم بالدراهم، فنقضوا العهد وتحلوا عن الحسين وأسلموه جيش يزيد، فُقُتِل في كربلاء يوم العاشر من محرم سنة ٦٠ هـ وقتل معه أصحابه وأهله في قرابة سبعين رجلاً، وما زالت الشيعة تحيي ذكره كل عام حيث تقرأ السيرة الحسينية وتتل البطولات والتضحيات مما أَلَف مدرسة كربلائية كانت حافزاً للشيعة على الاستمرار» اهـ.

ولم نشر هنا إلى هذه النصوص لنبتل منهج البكائين على الحسين رضي الله عنه أو لمنعهم عن إظهار الحزن الشعبي على مقتله، بل لنذكر الأمة بعدم الإلزام عليها شرعاً أن تعمل مثل هذا ولا أن تشتغل اليوم بأخذ الثأر من المسلمين بعد القرون الطويلة التي ذهب فيها الجميع إلى العالم الآخر، وإنما نذكر الجميع بمعالجة الجراح وحسن الاهتمام والاعتناء بالمتبوع الأعظم ﷺ وبخلفائه، ومنهم الإمام علي زين العابدين ومن في عهده من أهله، فهؤلاء لم يقيموا مآتماً ولم يلبسوا سواداً ولم يجيشوا شعوباً ضد بعضهم البعض،

وهذه الأنماط الواعية تقرر لدى مدارس السلامة من رجال النمط الأوسط ومن سار على مذهبهم أن ترك القرار يحفظ الاستقرار، وأنه استثمار عادل للشعوب كي تنهض بنفسها على ما تلتزم به من شرف النبوة ولو كان القرار السياسي مصاب بالخلل، وقد ترتب على هذا المبدأ حفظ شرف المدرسة الإسلامية العالمية في نموذجها الشرعي الملتزم بقرار النبوة في العلم والأخلاق بعيداً عن الفتن والاضطرابات، سواء في المراحل الأولى من حياة صدور الأئمة أهل النمط الأوسط أو فيها بعد سقوط القرار الإسلامي العالمي خلال مراحل الوهن والغناء المسيس.

فالمدرسة الأبوية الشرعية في وجهها العلمي الأخلاقي ظلت ملتزمة بالديانة ونشرها في الأمة بعيداً عن المعارك الدامية والتنافسات المترامية، ملتزمة بإنقاذ ما يمكن إنقاذه في طوفان التحولات السياسية والمسيبة.

وإنما فعل هذا ودعا إليه قوم لهم في الأمر رأي وندوحة بما لزمهم من عقدة الذنب وتقريب الأصول، ونحن لا نرى في هذه الجزئية الاختيارية أمراً يجب الوقوف عنده أو الاختلاف عليه، فمنهجنا منهج النمط الوسط من بقية السيف، وإليه ندعو وعليه نحيا ونموت ونبعث، ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُودٍ هُوَ مَوْبِئٌ فَاسْتَوُوا لَعَزَّتْ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وكما هو معلوم في مسيرة التاريخ أن بقاء الشيء على أصله من المستحيلات، لكن نسبة الحفظ واستمرار آثاره وغراسه يمكن تحديده وتحديثه وإحيائه، ولهذا فإن الساسة العالميين والوكلاء المنتفعين قد تظاهروا قديماً وحديثاً على تخفيف منابع الإسلام الأبوي سواء من أتباع النمط الأوسط عموماً أو من بقية السيف خصوصاً، بل وحتى من طرفي الإفراط والتفريط، فالكل أمام المستثمر عدو واحد، فالمستثمر من مهماته أن يسخر الاختلاف وأسباب الخلاف لمصلحته في المختلفين لينهدم البناء بأيدي أهله على بعضهم البعض، وهذا هو العمل الدؤوب حتى اليوم.

وإن بقي شيء من الحفظ لما نحن بصددته فإنما هو باق بحفظ الله، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

ظاهرة الانسلاخ عن النمط الأوسط لدى الأتباع

في كل مرحلة من مراحل التغيرات السياسية تبرز عدة وجهات وقضايا واتجاهات، ويكون لهذه الوجهات والقضايا اختراق للواقع وتأثير عليه، وبمقدار قوة الإعلام وعوامل تأثير الثقافة وضغوط الاستيعاب، وضعف محصلات الوعي بالطريقة والمدرسة والالتزام تنجلي بوضوح ظاهرة تحلي الأجيال عن التمسك بمفاهيم وعلاقات النمط الأوسط والتأثر بها ليس من دائرتهم وثقافتهم الأبوية.

فحيناً على صفة الخروج والمروق الكلي خارج دائرة الديانة - كما جرى في مرحلة الشيوعية - وقراءة الديانة والتدين بمنظور اشتراكي مُلحد.

وحيناً على صفة الاستحسان لمذاهب النقض والقبض، والانطواء تحت مظلة شيوعها وأسقفها السياسية والاقتصادية، وقراءة الديانة والتدين بمنظور حركي طبيعي ميسس، مختلف الأنماط والنماذج.

وحيناً على صفة الانطواء في الأحزاب الدينية الإسلامية ذات العلاقة بالتكوين السياسي للمرحلة، وتحت سقوفها التنظيمية المحصورة حيناً في الواقع الغثنائي والمسيحية حيناً من خارجه.

وحيناً على صفة التمرد المبطن ضد القديم المتهترئ، والتحول المباشر إلى معطيات الحضارة الحديثة الداعية إلى التجديد والتحرر من القديم بكافة نأذجه وأطره المتوارثة، ويحمل هذا الفكر غالباً في الواقع العربي والإسلامي دُعاة المدارس العلمانية والعلمنية والعولمية المبهورون بالمادة وتطورها العلمي في الحياة، والمنطلقون في تفسير مفهوم التطور الإنساني من الرؤى الغربية أو الرؤى الثقافية التوليفية.

وحيناً على صفة الثورة الطائفية ضد مذاهب أهل السنة بعمومها اتهاماً لها بأنها جزء من تركيبة الملوك العضوض، ومعبرة عن قراره، وحتى من كان في هذه المذاهب من آل البيت أنفسهم، فإن الصراع الطائفي يأبى على الكثير منهم أن ينصفوا آل البيت المخالفين وجهة نظرهم، مثلهم مثل غيرهم من آل البيت المظلومين أو حتى أن يقفوا إلى جانبهم فيما ظلموا فيه باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من السلالة الطاهرة، وهذا ما يسمى في فقه التحولات بـ(الصراع الطائفي) الذي يدفع بالمرء إلى التعصب المقيت ضد مَنْ يخالفه الرأي ولو كان النسب والموقف لا يشفع له بذلك، حتى إن القرآن يشير إلى ضرورة الصلح بين الطوائف عند الاختلاف ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

والإشارة في القرآن واضحة ضد الصراع من أساسه، والمخاطبة القرآنية نداء
لمثل رجال النمط الأوسط أن يتدخلوا بين الطائفتين لإعادة الحق إلى نصابه وجمع
الكلمة بين المتصارعين، ولو باستخدام السلاح إذا لزم.

وهذا النداء قد تجاوزته المراحل وأوصلته الأحقاد والتناقضات إلى أوج
التصادم والمواجهة، بل وإلى الزج بأهل الاعتدال والتوسط في أتون المعركة.

كما يبدو أن كافة الناذج المشار إليها سلفاً قد أسهمت إسهاماً بالغاً - منذ
بدايات عهد الغناء - في انسلاخ العشرات من أتباع مدارس النمط الأوسط إلى
ما يعارضها من الدعوات والمفاهيم، ويتحدد العامل الرئيس في هذا الانسلاخ
بما يلي:

١- تحول العالم العربي والإسلامي عن مرحلة القرار الواحد إلى القرار
المجزأ بحيث يصعب على المسلمين اتخاذ قرار موحد.

٢- امتلاك العالم الغربي قرار المرحلة وتسيير دفة الشعوب فيها مع تسيير
دفة الأنظمة ومخرجاتها.

٣- إضعاف الدراسة والثقافة الإسلامية الأبوية بكافة أناطها، وإدخالها في
مفاهيم (التطبيع والتسييس) لقبول ثقافة الآخر مقابل نفي وتخفيف
منايع الثقافة الإسلامية الأبوية.

٤- تشجيع الرؤى الإسلامية المسيسة والمتناقضة لاستلام مواقع القرار
بدلياً عن المذاهب الإسلامية العالمية وأشياخها لإنجاح سياسته
ورؤيته.

٥- تسخير الوسائل الإعلامية المتنوعة لكشف متناقضات وعيوب وأخطاء
وإفراط وتفريط المدارس الأبوية، ونقض ثقة الأجيال الخائرة بمنهجية
الإسلام المتوارثة من خلال المتناقضات وحجب المحاسن والفضائل.

٦- دفع الأجيال التعليمية والثقافية من أبناء وأحفاد المدرسة الأبوية بعد
انقطاعهم عن منابع مدارسهم التقليدية إلى الدراسات العلمية الحديثة
المجردة عن الارتباط بالثقافة الأبوية خصوصاً وعموماً، وتزوين علم
الخدمات وإثارة العواطف كبديل عن علوم الديانة الشرعية وأخلاقيها،
حتى تلين العرائك... وقد لانت.

وبهذا وبمثله وأمثاله من سياسات الغشاء والوهن برز في واقعنا المعاصر
نماذج الرافضين والمنسلخين والشائتين واللاعنين والمتربصين وهلم جراً، وكثيراً
منهم لا يعلمون أنهم قد خُدِعُوا واستأثّر الشيطان بعواطفهم لتدمير بناء دينهم
وشرعتهم، ولو علموا ذلك ما فعلوا شيئاً مما هم عليه وإليه، ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا

يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

لقد اشترك المئات والآلاف من أبناء الإسلام في معركة الهدم ضد مدارسهم الأبوية وهم يعتقدون أنهم يتصرون الملة والدعوة في الإسلام ويطهرونها مِنَ الإفك والشُّرك والبدعة والخيالات والاستحضارات وعبادة الذوات والجهالات الخ...

والحقيقة السياسية أنهم ينفذون خطة سياسية ضد هوياتهم التاريخية والإسلامية، وتحت سمع وبصر خبراء التسييس والتدنيس، وقد حققوا في مسيرتهم الانسلاخية أوسع مساحات الاستثمار في الإنسان رجلاً أو امرأة وفي الواقع المعاش وفي الثقافة والعلم وفي الغاية والمصير وإلى (جُحْرِ الضَّب).

لقد اعتقد المندفعون والمتنفعون أنا نمنعهم عن منهج الآباء الأئمة ونحرض الأجيال ضد منهجية آل البيت وقد فعل مثل هذا أمثالهم من دعاة القبض والنقض عندما اعتبروا دعاة المدرسة الأبوية حاجزاً يمنع الشاب عن الكتاب والسنة، ويشغلونهم بالترهات والزيارات والأناشيد والدروشة والاستحضارات، واعتبر هؤلاء مسألة الإعادة الشرعية للإسلام الحق واجباً شرعياً استباحوا به الدماء والفروج والأموال، وحققوا لأنفسهم وللشيطان مطلبه الإقليمي، وها هم حتى اليوم في الحياة المعاصرة لم يصنعوا للإسلام مطلباً

ولم يحققوا للشعوب الحائرة مكسباً بقدر ما حققوا الكثير والكثير لرجال المال والأعمال محلياً وعالمياً.

ولابد من البدائل - وها هي البدائل المجهزة مرحلياً تتحرك ببطء في مكان ما وتتحرك بحرية وقوة في مكان آخر - لإعادة ترتيب الواقع المحيط لتدخل مرحلة الصراع الطائفي أو ما يسمى اليوم بـ(الفوضى الخلاقة)، وبشعارات جاهزة، والمندفعون والمتشعرون قومٌ كثر.

ولابد من خوض المعركة ليرتاح الإبلis بلون الدماء وهي تغطي مساحة الأرض من أجساد خصومه الآدميين، ثم ما يلبث أن يعيد ويستعيد الكرة من جديد وبرؤى وأفكار أخرى تحقق له بالإفك والكذب ما يريد: ﴿كَتَلَبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ فَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الحشر: ١٧-١٨).

ومع هذا كله فالأمر المقدر كائن، والمقرر من عند الله وقوعه حاصل، ولسنا حريصين على استجلاب عواطف أو عقول المخالفين ولا المحبين، وإنما نحن بصدد البيان من باب العلم الذي علمناه، وقد قال المعلم الأعظم ﷺ: «إِذَا لَعَنَ

آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم
ما أنزل على محمد ﷺ^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (١-٩٧) والخطيب البغدادي في التاريخ (٩/٤٧٢)
ومن طريقه ابن عساکر في (تبيين كذب المفتري) من حديث جابر بن عبد الله بإسناد رواه
وفي الباب عن معاذ بن جبل أخرجهما الحلال في السنة (٣/٤٩٤) والدبيلمي في مسند
الفردوس (١/٤٠٠).

هل سَلِمَت مدرسة النمط الوسط من الجنوح إلى الإفراط والتفريط؟

سؤال مهم جداً، وسنجيب عليه...

ولكن قبل الإجابة: وهل سَلِمَ غيرها من الجنوح إلى الإفراط والتفريط؟ فالذين يضعون الأسئلة من هذا النمط إنما هم يشيرون بالخطأ الواضح والإدانة التي لا تقبل المدافعة عن مدرسة النمط الأوسط أو حتى عن غيرها من المدارس الأبوية فقط.

ومفهوم المدارس الأبوية هي: المدارس القائمة على حُبِّ آل البيت باعتدال، والتزام المذهبية الإسلامية القائمة على السلامة، والأخذ بمذهب الزهد والذوق المعروف بالتصوف، وهو ثمرة من ثمرات عِلْم الإحسان، من غير إفراط ولا تفريط.

وعند التدقيق الواعي فيمن يضع مثل هذه الأسئلة ويثيرها في الواقع الغثائي المشتت إنما يشير النظر الواعي إليه وإلى أمثاله بالجهل وعدم دراسة الأمور دراسة إسلامية واعية، وما أصابنا البلاء والاجترأ إلا جهل الحاملين أُلوية الديانة

فأهل النمط الأوسط جزئية لا تتجزأ من الإسلام ذاته، وهل يسلم المسلمون بعمومهم من الوقوع فُرَادَى وجماعات أو مذاهب أو رؤى في الجنوح والإفراط والتفريط؟ والإجابة: لا.

إذن فالجميع يعاني المشكلة، ولكن من الذي يبحث عن حلها؟ فالبحث عن الحل أول أسباب العلاج، ولكن الملاحظ والمقرر في حياة الأمة أن كثيراً من أطراف الحركة لا تبحث عن علاج لا في نفسها ولا في غيرها، وإنما تُعَمِّق وتثير الأزمات فتشار كوامن الجماعات وتشتت الأذهان في ملاحقة التناقضات والمتناقضات لتتفجر أوضاع المسلمين من داخلها وبدون حل ولا تشخيص ولا معالجة، وللأسف.

ومع هذا وذاك فمدرسة النمط الأوسط - كما أطلقنا عليها تبعاً لفهم النص الشرعي - قد تعرضت من خلال سلوك الأتباع وفهم بعض جزئيات العلم والديانة إلى الجنوح والإفراط والتفريط، والإفراط والتفريط ميل عن الحق وليس استعاضة عنه، ومن الأمانة أن نجعل دعوتنا لإصلاح مدرسة النمط الأوسط أو غيرها دعوة إعادة وعودة إلى الاعتدال، وكفى.

إن الإفراط والتفريط الذي أثبتناه في سلوك أتباع مدرسة النمط الأوسط هو ذاته موجود وباندفاع في المدارس المعارضة لها، ومن نماذج إصدار الأحكام

الجزاف على المذهب أو الجماعة بالشُّرك أو البدعة أو غيرها من مسميات الإفراط، وفي الأحكام أو التفريط عند تجريدها الكلي عن الخير والأمانة والسلامة والنجاة في الدارين.

إن قضيتنا واحدة، وعدونا واحد، ومصيرنا كذلك، وإشكالنا جميعاً هو تبيننا سياسة التفريق للواحد، والقرآن يعالج هذه الظاهرة لدى الجميع ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وعلى هذا المعنى الرباني يجب أن نحصر القضية ذاتها في ثلاثة أبعاد: اعتدال، إفراط، وتفريط.

وعلى الجميع العمل الواعي لربط المجموعات والمذاهب والنحل والرؤى بالاعتدال، ومجانبة الإفراط والتفريط، وإذا ما وقع الأتباع في شيء من ذلك لسبب ما أو فهم ما، فالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كفيلة بإيراد الحق من طرفي الجنوح.

وهذا أساس التشخيص المؤدي إلى سلامة المعالجة للذين يفهمون المقصود والمراد من هذا الأمر، وهم المرجون في إعادة ترتيب الوعي والإدراك من كل وجهة أو جماعة.

وأما المتنفعون والمدفعون فهم وقود الفتنة، وهم أسباب اتساع الخرق في كل زمان ومكان، وهم قوم كُثر أصابهم داء الأمم: البغضاء والحسد^(١).

وفلسفة مفهومي البغضاء والحسد من الوجهة الشرعية تشير إلى علتين:
الأولى: طبعٌ مريضٌ مصابٌ بداء الأنا والأناية.

الثانية: استتباعٌ لرؤى شياطينة اخترقت الأمم عبر التاريخ، فكان داؤها سبباً في إهلاكها وإهلاك غيرها (داء الأتوية).

والسلامة من هذا الداء متابعة نص الحديث النبوي وما يحمله من معالجة
«ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

ويخرج عن هذا التعليل أنموذجان:

١- رجل قرار وسلطة تعسف الحق وتسلط به.

٢- رجل علم تسييس بسياسة دينية تمنحه جاهاً ومكانة ومقاماً على حساب غيره.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧٤ / ٤) من حديث الزبير بن العوام مرفوعاً: «دب

إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٢ / ١) وابن ماجه في سننه (٢٦ / ١) وأحمد في

المسند (٣٩١ / ٢) من حديث أبي هريرة.

وهل يختلف اثنان أن منهج النمط الوسط هو إفشاء السلام في الشعوب، وأن منهج النمط الأوسط - من بقية السيف وسادة الصُّلح الواعي ومن غيرهم - هو عين ما دعا إليه رسول الله ﷺ وما دلَّ عليه في الحديث؟

إنَّ التعقيدات المترامية في عقول الأتباع المخدوعين في المدارس الإسلامية المتنوعة - سواء كانت أبوية تقليدية أم حديثة توليفية - قد أصابت الجميع بداء الخوف وعقدة القلق من الآخر، حتى لم يُعَدّ لدى الفرد أو الجماعة مساحة تتسع للآخر أو حتى القبول به، ما زاد الأمر تعقيداً وإشكالاً، وأعطى الشيطان قدرة أوسع على احتناك الجماعات ضد بعضهم البعض.

إن أماننا عدة مسائل يضعها الآخرون من المعارضين للمدارس الأبوية، وهم - كما سبق ذكرهم - عدة مدارس:

١- مدارس إسلامية أو إعلامية ارتبطت بالحركة السياسية علمانية وعلمانية وعولمية.

٢- مدارس إسلامية أو إعلامية حزبية وفئوية إقليمية.

٣- مدارس إسلامية مذهبية طائفية مسبّسة.

٤- مدارس توليفية حكومية وشبه حكومية.

٥- مدارس الحادية عالمية وإقليمية.

وكل مدرسة من هذه المدارس تعمل على إشاعة النواقص والنواقص عن المدارس الأبوية حيناً في العلم وحيناً في الحُكم وحيناً في العادات والتقاليد، وهي - أي: هذه المدارس بعمومها - لا تحمل الحل المناسب، ولا تشارك في تكوينه.

نعم إن كثيراً من هذه المدارس تعمل على إنجاح برامج معينة وخطط برامجية معدة، وتكرّس الجهود في تنفيذها والاعتداد بها، والحديث عنها باعتبارها جزءاً من منجزاتها، وهذا لا يعنينا في موضوعنا هذا، بل ربما كان يعني أصحاب المدارس أنفسهم عند ذِكرهم محاسنهم والتشهير بغيرهم.

لقد قرأت يوماً ما صحيفة ثقافية وقد نشرت تحقيقاً صحفياً عن مناسبة من المناسبات الأبوية، ولم تزد شيئاً عما يفعله أمثالها من حملة الصور والأقلام لنشر الجانب السيئ الممقوت عن الأبوية التقليدية.

والسيء الممقوت هو رصد كل ما من شأنه الإثارة للآخرين، وتحليله تحليلاً يتناسب مع الغرض ذاته، حتى صار القارئ لهذا الموضوع يصدر حكمه البديهي على هذه المناسبة ومن فيها بالشُّرك والكُفر.

وهذه المسألة من مسلّمات المدارس التوليفية المعاصرة، كما أن التّهمّة بالجنوح والشُّرك مدرسة معلومة أيضاً، ولكني بقراءتي للموضوع من جهة،

وقراءتي للمرحلة - ومستثمرتها من جهة أخرى - تميّزني الدافع والهدف والوسيلة والغاية، فكان ما كان.

أجريت اتصالاتي بالجهات المسؤولة عن المناسبة وطلبت تسليم إدارة المناسبة لنا كجهة علمية بحثية تنتمي للمدرسة الأبوية، وبعد طول معارضة تمت الموافقة وبدأ العلاج.

ومن العجيب أن هذه المنابر الإعلامية التي عُيِّنَتْ بالتحريش وكشف العيوب صار لا يعنيها بعد ذلك نشر أساليب السلامة ومعالجة الجنوح، ولا عجب، وبينما نحن في خِطْم إعادة ترتيب المناسبات الأبوية وإصلاح ما أفسدته الأزمنة وتراكماتها تشرفنا بزيارة مندوبين لأحد القنوات العربية الكبرى، وتحرك المندوبون لرصد وتصوير العديد من المشاهد السلبية والإيجابية ثم قدمت لي مجموعة من الأسئلة حول المناسبة، وحرّضتُ كلَّ الحُرُص على أن أوظّف الإعلام في خدمة الإسلام وإعادة الثقة بين المصلين، وشرّحتُ للسائل أن ظاهرة السلبيات في المناسبة إنما تعكس سلبيات في الواقع كله، فالإدارة والوزارة والتربية والتعليم والثقافة وغيرها تعيش عشرات السلبيات والمخالفات، وأيضاً لابد أن يكون المسجد والمناسبة خليطاً من هذا الواقع المتناقض، ولكن المهم والأهم تركيز الإعلام على وسائل التحديث والإصلاح والمعالجة كبدابة

مسؤولية داخل الواقع التقليدي لإعادة الترتيب الشرعي للمناسبات وما يدور فيها من ملايسات.

ولمَّا عَرَضَت القناة هذا الأمر على المجتمع الإنساني، وشاهدت العَرَض والتعليق تبين لي وبالتأكيد أنَّ هؤلاء لا يبحثون عن حلول للشعوب، وإنما يبحثون عن إشارة تُسبِّحهم في خدمة الشيطان، وامتداد صراع الأمة حول متناقضاتها، وكل إناء بالذي فيه ينضح...

وقد يكون المندوبيون أكثر فهمًا للواقع لما رأوه وسمعوه وفهموه، ولكنَّ الجهات الحاملة قرار التسييس قد تعكس الأمر وفق ما رُسم لها وخطَّط للمرحلة وقراءة مَنْ فيها وما فيها.

إننا نصرُّ كل الإصرار على أن يُفهم كافة أتباع النمط الأوسط من المتممين لـ(بقية السيف وسادة الصُّلح وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان) أنَّ لنا وجهة نظر واعية، وأننا لا نرغب بالخلاف ولا الاختلاف، بل نرغب سلامة التشخيص لتسليم المعالجة من الخلط والخبث، فهل في مطلبنا من عيب أو احتكار أو مصادرة لآراء الآخرين؟

لقد اعترفنا بالخلل، ونعمل على إصلاحه، وكُلُّنا يُسهِم في بناء المرحلة وسلامة استقرارها، لا للاستثمار المادي وإنما لنداء الواجب الشرعي، فهل كل المستثمرين على هذا النمط؟

إن المشكلة في أولئك الذين يفلسفون الخطأ ولا يعالجونه أنهم يستغلون الفلسفة والتعليل للعيش على حساب الآخرين، ويدفعون بالواقع وبضحاياهم فيه لتوسيع دوائر تهم الشك والارتباب والنقض والقبض، وباسم الأظهار من أكل البيت عند البعض، وباسم الإسلام ومبادئه عند آخرين، لتزداد مساحة الحقن بين المسلم والمسلم، وتتفكك الأواصر، ويعيش المخادع والأفك والمستثمر حكماً على حساب المحكوم المخدوع المستغفل مقابل عَرَض من الدنيا قليل، ثم يتحقق الهدم، وتصطبغ الأيدي بالدم، ويتكى الشيطان على أريكته معجباً بالأبطال الذين يرحلون أو يُرحَّلون من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة من داخل الفتن المضلة والمجتمعات المُستدَلَّة.

المساهمة في رفع حُجُب الشك المحيطة بالنمط الأوسط

مع كل فتنة تطرأ في الواقع العربي والإسلامي تتحرك العيون والألسنة والشاشات عبر الصحف والمجلات والجرائد وفي المجالس والمناسبات لإعادة الحديث عن التاريخ ومشاكله، ونبش جراح الماضي، وما ترتب على ذلك من ولاء وبراء ومواقف ونزاع وصراخ وهراء، وكأن الحياة تقاس دائماً بالأحداث والمآسي، وبها ومنها تُتخذ المواقف والعلاقات، وقد طغى هذا الفهم على عقول الكثيرين من الأمة، حتى صار لُغَة التفاهم، وأسلوب التخاطب، ومغمز العلاقات، ومطية الحاقدين والمستثمرين للظروف.

وربما وصل الأمر إلى تأثير حَمَلَة القرار بِمَثَل هذه الأغلوطات، فيبدأ الشك وسوء الاحتمالات، وقد يعمل العديد من أهل الأغراض والأمراض على تعميم الرؤية ونقل المعلومات بصورة تثير حملة القرار على الممتن تاريخياً إلى المدارس الأبوية في الإسلام وخاصة ممن له انتفاء لآل البيت بالنسب أو بالارتباط، ويخلطون في هذه المسألة بين أهل البيت دعاء النمط الأوسط وبين مدارس الإفراط والتفريط المُتَّسِمَة بِسِمَة حُب آل البيت أو موالاتهم.

ويبدو أن البغض الصريح أو البغض المبطن شنشنة في بعض النفوس لا يخرج منها ولا علاج لها، ومثل هؤلاء لا ينفع معهم شيء من التلميح، ولا

إيضاح المواقف من الإفراط أو التفريط أو رفض الاعتداد بالنسب والحسب، فتلك علل تقابلها علل طبيعية مثلها، وقد استشرى داء الفريقين وغلب على محيط العلاقة بين الفئات الاجتماعية، وظهرت سلبياته وتفتت أويته وتبعاته.

والذي نحن بصدد محاولة لإعادة الأمر إلى أصوله من الديانة الشرعية لمن كان يرغب في الالتزام بالديانة، أما من لا يرغب في ربط الولاء بالديانة فنربط الأمر له بالمصلحة الاجتماعية المشتركة، فالجميع لهم حق المواطنة، وكما اتسعت المرحلة سياسياً واقتصادياً وإعلامياً لكافة القوى الإنسانية وما يسمى بالدول الصديقة - كما نرى ونشاهد - وصار للأمم المعاصرة معها قواسم مشتركة قائمة على المصالح وتبادل المنافع فمن الضرورة بمكان أن تتسع لمن هم في دائرتها الإسلامية والدينية والشرعية، ولَوْ مِنْ بعض الوجوه.

وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة اتساع الحوار السياسي وطرح التنازلات خلف التنازلات لإرضاء العدو المشترك - العدو الصهيوني الغاصب المحتل - كي نحقق معه - من خلال هذه التنازلات - قاسماً مشتركاً في العيش بسلام ضمن ضوابط وأطر وضعية وقوانين توليفية لاستثمار المرحلة وسلامة التعايش فيها، ولم يعد الأمر في هذا النزاع سرّاً ولا خيانة ولا مخالفة للديانة والتدين من وجهة نظر الجميع، وخاصة رموز القراءات والولاءات، فلماذا لا تتسع صدورنا

كمسلمين لبعضنا البعض؟ ولماذا لا تتسع قواميسنا الأدبية لمن نختلف معهم في الفكر أو الرؤية أو المذهب، ومن داخل أدب الإسلام نفسه، بحيث لا نحتاج إلى تنازلات ولا إلى خيانة ولا مجرد تعمية أبصار وبصائر لكسب الوقت، بل إلى شجاعة في الالتزام الشرعي لقواسم الديانة المشتركة؟.

ربما احتاج الأمر إلى صراحة أكثر وإلى بيان أوسع حتى نكتشف العلة ونبدأ في معالجتها، ولكن من الذي يتقبل الصراحة؟ ومن الذي يرتاح إلى البيان؟ إن مشكلة الجُفُض المركَّب لدى ضحايا المرحلة ضد أتباع المدرسة الأبوية خاصة ممن ينتسبون إلى آل البيت لا يعدو كونه جهلاً بالحقائق، وخصوصاً فيما يخص النمط الأوسط من دعاة الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، فالإشكال ليس بعميق ولا موجباً للعداوة بين شرائح المجتمع الواحد.

فالجميع في حاجة إلى قراءة الحياة الإسلامية وعلاقات المسلمين فيها من الواقع الشرعي لا من تراكمات المراحل وحوادث التحولات، كما أن من مهماتنا ونحن نرتبط معاً بالكتاب والسنة أن نزيل الكثير من الإفراط والتفريط المؤدي إلى شبهات الفساد والإفساد في الديانة والتدين لإكمال الصورة وإيضاحها.

فالنمط الأوسط - كمدرسة وكأتباع - يلزمهم إعادة النظر في علاقتهم بالشعوب وشرائعهم الاجتماعية وعلاقتهم بجملة المفاهيم التي أشارت

الإشكال في الواقع الاجتماعي، وتصحيح الخطأ الذي تنفذ منه القوى المضادة للمنهج الأبوي الشرعي.

فالخطأ هو الخطأ، ومن لم يسع إلى تصحيح أخطائه وإعادة سلامة علاقته بغيره على الوجه السليم فلن يستطیع أن یصنع التفاؤل فی حیاته ولا فی حیاة غیره، وكما ذكرنا سلفاً أن مدرسة النمط الأوسط تعرضت للتراكم السلبي عبر المراحل ولم تجد من يث فيها روح التجديد وسلامة الإعادة، بل وجدت من فعل الصراع بينها وبين المتربصين بها إلى اليوم.

ولأنها - أي مدرسة النمط الأوسط - ليس لها في اقتسام مصالح القرار موقع معين لزهدها فيه؛ فقد استعدى عليها علماء السلطان ونازعوا رجالها وأتباعها بما هو معلوم في عصرنا من التهم والرؤى والمفاهيم المحبوكة خلال الهجمة الغثائية العالمية على كافة موارث المرحلة الإسلامية الأبوية القديمة، ولم يميزوا في هذه الهجمة السياسية بين السلبيات التراكمية وعوامل إصلاحها وبين إيجابيات المدارس الأبوية وكيفية الاستفادة من ثوابتها.

لقد خرجت المدرسة الإسلامية الحديثة ذات الارتباط المباشر بالوضع السياسي الجديد المرافق لمرحلة الانتقال من عصر الخلافة الإسلامية إلى عصر القوميات بمفاهيم سياسية باترة للمدرسة الأبوية ومدمرة لكافة تركيباتها

الأبوية الشرعية في كافة المستويات الثلاثة: المذهبية، التصوف، وحب آل البيت وإقامة حقوقهم الشرعية.

فالمذهبية الإسلامية بعمومها في مرحلة الغناء صارت ورقة في مهب الرياح، كما صار التصوف بعمومه ومن غير تمييز قادحاً أساسياً لمن ارتبط به في برامج التوحيد السياسي، ومثل ذلك قضية علاقة الأمة بآل البيت وما لهم من حقوق كخُمس الخُمس، واحترامهم وتقديمهم ومشاورتهم، ومحبتهم لأجل الله ورسوله، فكل هذه المميزات توقفت العمل بها، بل وصارت مغمزاً سياسياً وتهمة عقدية في لغة حملة قراري الحكم والعلم.

وزاد الطين بلة تركيز المدرسة السياسية على كافة المظاهر التقليدية ذات العلاقة بمدرسة آل البيت وشرف انتهاءاتهم كالقبور والمولد والاجتماعات التقليدية، وكل ما من شأنه إظهار علماء المذهبية والصوفية وآل البيت، بل وحتى مدارسهم الشرعية النافعة لعموم المسلمين.

وقد ترافق هذا التظافر السلبي في بلاد المسلمين بعيد امتداد الاستعمار السياسي العالمي الذي كان له الحظ الأوفر في إعادة ترتيب الخريطة الإسلامية والعربية ثم إعادة ترتيب الأنظمة ثم إعادة ترتيب المذاهب الفاعلة في الواقع المغلوب، حتى صار المذهب الأبوي التقليدي في بعض البلاد مُزاحماً ومُغالباً

بالمنهجيات الحديثة ذات الارتباط بالسياسات الاستعمارية، وفي بعض البلاد مقتلاً كلياً بإيجاد البديل المعارض للمدرسة الأبوية الشرعية المدمومة بالمدرسة الأنوية الوضعية المدعومة.

ولم تكد الأمة العربية والإسلامية تتنفس الصعداء بعد التحولات السياسية والجغرافية والاجتماعية التي تحققت لمستثمري الحروب العالمية باقتسام تركة الرجل المريض حتى بدأ في الأفق المُعْتَمِ تحوّل المجتمع العربي والإسلامي من وجوه عدة إلى بؤر جديدة وصراعات مديدة، أولها الحكم والعلم، وبعدها الاقتصاد والإعلام والعلاقات الاجتماعية، وبمقدار ما اكتسبته الشعوب من آثار الحضارة المادية على يد المستعمرين والمستثمرين فقد فقدت ثوابتها التاريخية بالمدرسة الأبوية الشرعية، وتحولت هذه المدرسة التقليدية إلى (عُقْدة شرك وبدعة) لدى بعض الشعوب والمثقفين ولدى البعض الآخر (عُقْدة تخلف وتحجّر وعرقية.. وهكذا تتحدث مخرجات الثقافة والتعليم والتربية المعاصرة الرسمية وشبه الرسمية.

ولم تستطع مدرسة المذهبية والتصوف وآل البيت أن تحكم المدافعة ولا المرافعة أمام الطوفان العارم، بل التزمت الصمت وأعادت ترتيب واقعها الخاص في بعض زوايا الأرض مستعينة بالله وبها هيأه الله لها من جُزْص الأوفياء

وصمود الصالحين من العلماء، مع أن بعض العلماء قد حاولوا الدفاع النسبي عن المنهج وما قيل فيه، ولكن بصورة محدودة ومتباعدة، حيث لا يدعمهم قرار سياسي ولا قدرات مادية وإعلامية مناسبة، وبعضهم ذاب في بوتقات الوظائف والأعمال.

ولا زالت هذه المدرسة تعاني من هذه الهجمات والتهجمات والمنازعات وبث الإشاعات إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

لقد وَصَعْتُ هنا أمانة العلم الذي أعلمه بِصرف النظر عما سيحدثه هذا الطرح من أثر لدى المستغفلين من جهة، والمستثمرين وأذئاب المستعمرين من جهة أخرى، ومع إدراكي التام أن السباحة ضد التيار موتٌ محقق، ولكنني أُرْجُو مِنْ الله العَوْنُ والسلامة، فهو المالك للأمر، كما أُرْجُو من المخدوعين والمغرَّرين بهم وَجَهَلَةَ المراحل وضحايا الإفك المقتن أن يتعرفوا على مواقفهم من السلامة في الدارين.

فالحديث هنا عن النمط الأوسط لا ينازع رجال سلطة على سلطتهم، ولا رجال حكم على دوائر حكمهم، ولا على ذي مصلحة ذات اعتبار في هذا العالم على ترك مصلحته، وإنما هو كشف لحقيقة حُجِّبَتْ عنها الشعوب، وارتكس في منازعتها حملة القرار بإدراكك وبغير إدراكك، بل وقع فيها الأغرار من طرفي

الإفراط والتفريط في المدرسة الأبوية ذاتها، وفات على الجميع بذلك خير كثير ومكسب كبير، ولم تكن البدائل في المستوى المناسب، بل لم تكن تمثل الأمانة الشرعية في خدمة الواجب، ولعل هذا جزء من مسيرة القضاء والقدر، فلا اعتراض على أمر الله ومراد الله، وربما يكون هذا سوء فهم عندنا لمجريات العلم بسير القضاء والقدر، فكان الشيطان هو المنفّذ والمستثمر، وكانت الشعوب وَحَمَلَةَ القرار فيها هُم الضحايا وهم المستغفلون في خدمة المشروع الأنوي العالمي.

هل يُعادي أهل النمط الأوسط أحداً في المراحل؟

أهل النمط الأوسط لا يحملون لأحد في هذا العالم عداوة تفضي إلى ما تفضي إليه عداوة الأطراف المتنازعة، سواء كان هذا المخالف مُسليماً داخل دائرة الإسلام، أو كان كافراً لم يدرك حقائق الديانات أو جاهلاً بحقائقها الشرعية، فالأصل في العلاقة لدى حملة المنهج الأوسط إغذار الجاهل وتنبيه الغافل والصفح عند المقدرة، ورفض كسب عداوة الآخرين، إذن فما الذي يدور في ساحة الأمة من العدا؟

الذي يدور في ساحة الأمة من العدا هو نزغات وساوس الشياطين، وطباع ونفوس الآدميين المستخفين بأمر الديانة، والغارقين وما اختلفت عليه البشرية من مصالح الدنيا ورغباتها في الحياة والسلطة والامتلاك والتعيين.

وأهل النمط الأوسط قد تخلوا عن هذه الأسباب ورموا بها في جُنة الأمواج المتلاطمة، ونظروا إلى حَكْمَةِ الله في سِرِّ الدَّفْعِ والتَّنْفِيعِ والوتر والشفع، وأقاموا واجبه الشرعي مع الجميع دون الحاجة للتدني والسقوط في معركة العَرَضِ والظَلَبِ، والواجب الشرعي هو أساس حقيقة المعاملات الدينية التي أراد الله بها صلاح الشعوب ونزع فتيل الشر عن صالحهم وعن الموفقين من الناس الذين قال الله فيهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والمعلوم أن الاهتمام لا يُقصد به متعلقات العبادة والأحكام فقط، فهذه تختلف من عَهْدٍ إلى عهد ومن مرحلة رسالة إلى أخرى، وفق الوحي السباوي لكل أمة، وإنما تعني الآية فيما نعتقد إن شاء الله زيادة على المعنى الأساس أن المواقف هي الآداب والأخلاق التي تعتبر قاسماً مشتركاً بين الشعوب والأمم على اختلاف دياناتها وشرائعها.

وأهل النمط الأوسط يعلمون يقيناً أن الحياة دار تنافس، وقد جُبِلَت الطبائع على ذلك، وأن المخرج من هذا الداء الزُّهد في وسائل المنافسة، والحصول على ما تيسر من الحاجة الضرورية لإقامة أسباب الحياة بشروطها المعلومة، وبمقدار فقه الشعوب لهذه الجزئية تظل العلاقة بين الأمة إيجابية ومشمرة، وشرطها أن ينشأ عليها الأبناء والبنات منذ نعومة الأظفار، وقد تحقق مثل هذا لأئمة النمط الأوسط في سابق التاريخ الإسلامي، وكانت هذه التربية سبباً رئيسياً في السلامة التي نعيم بها أهل النمط الأوسط في أشد مراحل التنافس وبمخالفاتها وتجاوزها تجرّع الآخرون الإبادة والحصار^(١) والأذى والملاحقة من منافسيهم على المطامع والسلطان.

(١) لما روى البخاري ومسلم وغيرهما لما قدم مال البحرين قال: «فسمعت الأنصار يقدموه فوافته صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له فتبسم حين

وكانني بهذه المواقف الخاصة لن تجد الأذان الصاغية ولا الاستعداد التام للقبول عند الكثير، ولأن الأمر كذلك، فإن هذا لا يمنعنا من إبراز الحقيقة ناصعة ليدرك الأجيال نماذج هذا النمط المتفرد ودوره السليم في تاريخ الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، وفشل المتأخرين من جميعاً عن الوصول إلى هذا المستوى الشرعي، والتأخر عن الالتزام به، والتحلي بفضائله، وربما من كان منا من ينكره ويأباه.

وأصل الإنكار - إن وُجد - إنها يشير إلى انعدام التربية الموصلة إلى مستوى النمط الأوسط الأوائل، فالتربية والتعليم والإعلام والثقافة في عصرنا إنها تعني بغير ما يعتني به أئمة النمط الأوسط، ولذلك لا بد أن تأتي خرجاتها مخالفة تماماً لمخرجات الأئمة والعلماء الأكابر من هذا النموذج.

رأهم وقال أظنكم سمعتم بقدم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء. قالوا: أجل يا رسول الله. قال: فأبشروا وأملوا ما يركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كانت قبلكم فتتافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهمتهم» [أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٦/٦، ٣١٧ فتح) ومسلم في صحيحه (٥٨٣/٢) والترمذي في سنته (٥٦/٤) وابن ماجه في سنته (١٣٢٤/٢) وأحمد في المسند (١٣٧/٤). من حديث عمرو بن عوف.

بل وربما كان المعاصر من مخالفي أهل هذا النمط لا يعنيه أمر الأخلاق والتربية، وإنما يعنيه تحجيم ما قد صورته مدارس الغناء عن النمط الأوسط ومن أفرط في جبههم أو التعلق بهم أحياء وأمواتاً، حيث ارتفعت درجة حرارة القضية لتُخرج من نمط الاقتداء والاهتداء إلى درجة القلق على العقيدة وسلامة الديانة، ولكل وجهة هو مولّيتها، وآتَى لنا بعد هذه الحرارة المرتفعة أن نقنع معاصراً بسلامة منهج النمط الأوسط أو سلامة الاقتداء ببقية السيف وسادة الصُّلح الواعي.

ولكننا - كما أشرنا من قبل - في حاجة إلى توثيق الحقيقة وإثباتها بلغة رجالها وإن قلَّ المرتبطون بها، وقد ورد عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: «لا تستوحشوا من طريق الحقِّ لِقَلَّةِ سالكيه».

فإثبات مواقف رجال النمط الأوسط وتذكير الشعوب به عاملٌ هامٌ من عوامل غرس التوازن أمام نهائج الإفراط والتفريط ودعاة التسييس لمفهوم الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في المراحل المتقلبة.

إن البحث عن هذا النموذج من الخلق في عصر الإعلام ومخرجاته أمرٌ صعب جداً، ولكن ومع هذا الأمر فإن الله قد ضمن الحفظ لدينه، وللحفظ نهائج، وقد يحفظ نموذج الدين في صورته الإعلامية برجال الإعلام، وفي

صورته السياسية برجال السياسة، وهلم جرأً، وقد قال ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(١)، ولكنها صورة، وأما الحقيقة فلا بد أن يكون لها نماذج من نمط آخر.

وحسب علمنا المحدود أن هذا النمط هم (أهل الإحسان) ومن صفاتهم عدم توريث العداوة، والإحسان ركن من أركان الدين، وممتزج كل الامتزاج بالركنين السابقين له: الإسلام والإيمان، وبالثلاثة يتكون النمط الراقى في مراتب السلوك، وهذا النمط السلوكي ينظر إلى الحياة وما فيها بنور الله، ومن نور الله في النظر إلى الحياة: تقرير أمر القضاء والقدر والسوابق والأزل وفق مراد الله، ومن غير اعتراض أو تطاول بدون تكلف أو تشوق.

ومتى ما صعب على المرء المعاصر منا فهم هذه الأمور أو اشتبك عليه تحليلها فما عليه إلا التصديق بوجودها في أهلها وكفى.

وسلم لأهل الله في كل مشكل لديك لديهم واضح بالأدلة
إننا هنا نضع أمانة المعرفة لمن كان من أهلها وخاصة أحفاد وأسيباط مدرسة النمط الأوسط، وهم اليوم قومٌ كثر خاضوا تجربة الحياة المعاصرة بأساليبها،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٠/٦) فتح ومسلم في صحيحه (٥٨/١)

والدارمي في الجامع (٣١٤/٢) وأحمد في المسند (٣٠٩/٢) من حديث أبي هريرة.

وأعطوا الواقع الاجتماعي جُلَّ جهودهم العقلية والعلمية والعملية، ولكنهم ظلموا من جانب المعرفة العادلة لواقع أسلافهم وآبائهم من النمط الأوسط دعاة السلام والمحبة والرحمة، إذ إن كثيراً من مخرجات المعرفة المعاصرة لا تنولي بالاً ولا أهمية بقضية الذوات الإسلامية الأبوية، إما لأنهم من آل البيت النبوي، وإما لأن هناك الكثير من حملة الأقلام والإعلام من لا يرغبون في التناول لهذا الاتجاه الأبوي لما يثيره من حساسيات بين الناس، أو هم هكذا يتصورون ويتوهمون، إضافة إلى أن مسمى آل البيت في مرحلتنا المعاصرة اتخذ شكلاً سياسياً معيَّناً، وكَثُرَ اللغظ حول المسمى ومن ينتمي إليه، ورافق هذا اللغظ تخوف شديد لدى المتنافسين على الخطام والدنيا ومراتبها أن تعاد القضايا المسكوت عنه للبحث عن الجدارة والأحقية بالسلطان والحكم وما شابه ذلك، وخاصة أن من الممتنين لآل البيت من يلوّح بذلك ويتحدث ويعبر في وسائل الإعلام عن مثل هذا الخطاب الخطير، وَيَجِدُ له في الواقع المحلي والعالمي من يؤازره ويناصره.

والحقيقة أنَّ مدرسة النمط الأوسط ممن فيها من آل البيت - وهم قومٌ كُثُرٌ - لا يولون لقضية الحكم والسلطان بالاً ولا أهمية، بل لا يعتبرون الحديث عنه ولا التناول لقضاياهم مشرفاً لهم ولمدارسهم، وهذه وجهة نظر.

ومن هذه الوجهة الواعية ننطلق نحن ونعيد مفهوم البديل الأنسب، وهو تناول الحديث عن بناء الشعوب، والاعتناء التربوي والعلمي بالأجيال، وهذا ما سلكه الأولون جميعاً من أتباع هذه المدرسة، ولا نعارض غيرنا من ينتمي إلى بقية السيف وسادة الصلح الواعي في رأيه المعاكس، فلكل وجهة نظره.

وقد تمهياً لنا إضافة أمر مهم في مجال الاهتمام ببناء الشعوب وتربية الأجيال زيادة على ما قد اعتنى به رجال مدرسة النمط الأوسط، وهو دراسة فقه التحولات وسُنن المواقف على ضوء إعادة القراءة الواعية لأركان الدين.

ومع أن هذه القراءة بهذه الرؤية لم تسبق لأحد من قبل إلا أنها جزء لا يتجزأ من عِلْم الأئمة الصدور، وبه عرفنا شرف مدرسة النمط الأوسط بين المدارس الإسلامية، وبه أيضاً نعيد قراءة التاريخ والسيرة على أساس الربط الواعي بين مفهومي التاريخ والديانة بعد أن انفصم الربط بينهما على أيدي علماء المدرسة الحديثة وبعض علماء المدرسة الأبوية القائمة على قراءة الأركان الثلاثة للدين فقط.

لقد صار واجباً على كافة الراغبين في بناء منهج السلامة في الشعوب والمتطلعين إلى الاتباع الواعي لأئمة الدين الصدور - بدءاً بالمتبوع الأعظم ﷺ، ونهاية بالعلماء الوارثين للأثبتات - أن يقرؤوا فقه التحولات وسُنن المواقف وما

يتعلق بها من إيضاحات ومعلومات ليدفعوا بعجلة السلامة الشرعي نحو الحركة بعد أن أوقفها دعاة السلام النفعي ودعاة المصالح والتنازلات وفقهاء المغالطات والمبررات.

وبهذا الفقه لا بغيره ستُعاد قراءة الحركة الفكرية والسياسية والعلمية والتربوية والاقتصادية والإعلامية حتى تستقر في مجراها الطبيعي من تفسير الظواهر ومسببات التحول في الأمم والشعوب سواء قَبَلَهَا الآخرون أم لم يقبلوها.

قال تعالى في فقه الكلمة من هذا النمط: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

وقال سبحانه وتعالى في فقه الكلمة الخبيثة التي فَصَلَتْ بين الدين والدولة، وبين الديانة والتاريخ، وبين وبين... تحت شعار (فَرَّقْ تَسُدْ)، وبين الفريقين مِنْ حَمَلَةِ الكلمة الطيبة وَنَشْرَ فقَها في ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وبين الكلمة الخبيثة وَحَمَلَةَ نَشَرَهَا في العالم، يُفَرِّقُ الله موقع الفريقين من الآدمية ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ

أَثَلَيْتَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الركن الرابع وعلاقته بمنهج النمط الأوسط

كانت مواقف أئمة رجال النمط الأوسط نابعة من عمق قراءتهم الشرعية للركن الرابع من أركان الدين، وهو علامات الساعة^(١) وعلامات الساعة محور هام في ثقافة المسلم، وأساس معرفي متميز، ولكنها تحتاج عند القراءة إلى استيعاب جوامع الكلم التي يتحدث عنها مَنْ لا ينطق عن الهوى، فالجوامع جمعٌ للجامع، والكلم جمعٌ للكلمات، ومعنى أنَّ هذا العلم يعتمد على الإشارة وفك رموز الكلمات الجامعة.

(١) وقد تكلم العلامة الصاوي في حاشيته على شرح الخريدة البهية عن وجوب العلم بعلامات الساعة وأنه يشابه العلم الحاصل بالضرورة، حيث قال: «واعلم أن التصديق بما ذكر هو الإيذان الشرعي لأن الإيذان لغة هو مطلق التصديق، وشرعاً: هو تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما علم مجيبه به من الدين بالضرورة أي فيما اشتهر به أهل الإسلام، وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة» اهـ حاشية العلامة الصاوي على شرح الخريدة، لأبي البركات.

قال ﷺ: «يُحِثُّ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١)، وقال الإمام علي رضي الله عنه: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة خرجت تقاتل مائة أو تهدي مائة إلا أنبأتكم بسائقها وقائدها وناعقها ما بينكم وبين قيام الساعة»^(٢) وعن حذيفة بن البيان رضي الله عنه: «ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى مني بكل فتنة هي كائنة بناعقها وقائدها إلى يوم القيامة»^(٣).

وهناك الأحاديث والآيات الكثيرة الدالة على أهمية هذا العلم الخاص بالساعة وعلاماتها، فعن سعد بن وقاص رضي الله عنه قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْفَائِزُ عَلَى أَنْ يُعْطَ عَلَيْكُمْ عَدَاوَاتِنَ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] فقال رسول الله ﷺ: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد»^(٤)، وفي هذا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٤٤/١) وابن ماجه في سننه (١٧/١) من حديث جابر بن عبد الله، وأخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٢/١١) ومسلم في صحيحه (٥٨١/٢) من حديث سهل بن سعد.

(٢) عن زر بن حبیش ص ٢٠ كتاب الفتن لنعيم بن حماد، ص ١.

(٣) حديث ٢٥ ص ١٦ الفتن نعيم بن حماد وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢٧/٤) وأحمد في المسند (١٧١/١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

التفسير منه ﷺ إشارة واضحة إلى ما تعيشه الأمة من نذاج العذاب الأليم بالحروب المدمرة والأسلحة الفتاكة المتنوعة.

وكثير من الحوادث التي أشار إليها ﷺ منذ عهده وما بعد ذلك بينت سلامة الصادقين وكذب الكاذبين ومواقع الخلل في مسيرة الحكم والعلم والولاء، بل وضبطت للأئمة الوارثين مواقف العلاقة بالفتن وإجراء ما يناسب فيها.

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ: «إياكم والفتن، لا يَشْخَصُ لها أحد، فوالله ما شَخَصَ لها أحد إلا نسفته كما يُنْسَفُ السيل، إنها تشتبه مُقْبِلَةٌ حتى يقول الجاهل: هذا يشبه، وتبين مُدْبِرَةٌ، فإذا رأيتموها فاجتمعوا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان أن رجلاً قال له: «كيف تأمرني إذا اقتتل المصلون؟ قال: تدخل بيتك ثم تعلق عليك بابك فمن جاءك فقل (هكذا) - وقال سفيان بيده فاكتشف - وقل: بؤ بإثمي وإثمك»^(٢).

(١) انظر مستدرک الحاكم (٤/ ٤٩٥) والحديث صحيح.

(٢) قال الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٢٦) ثنا عبد الصمد، ثنا زياد بن مسلم أبو عمر، ثنا أبو الأشعث الصنعاني قال: «بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير فلما قدمت المدينة دخلت على فلان سمي زياد اسمه فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى؟ فقال:

هذه الأحاديث ومثلها أفرزت مواقف هامة أمام مجريات الفتن الساحقة الماحقة، وخاصة تلك الفتن التي دارت بين المصلين أنفسهم من أمة محمد ﷺ، ولأن الأئمة من هذا النمط إنما يبحثون عن السلامة في الدارين فقد تخلصوا من عقدة الأنوية (أنا خير منه) ومن عقدة الأنانية (أنا لا غير)، واتسعت فهمهم الأخلاقية للنظر الأكيد لما عند الله ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] فصغرت الحياة الدنيا في أعينهم، وخرجت من سويداء قلوبهم، ووجدوا من حقائق التوجيه النبوي الأبوي عوضاً عن الصراع المفضي إلى الحرب والدماء والأحقاد والضغائن، فكان منهم الالتزام بما يخالف الطبع البشري ومواقف الشرع الرباني، فطابت نفوسهم بعوض الله وشرع الله وما أوعده الله الصابرين في مثل قوله ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وفي مثل

أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ إن أدركت شيئاً من هذه الفتن فاعمد إلى أحد فاكسر به حد سيفك ثم اقعد في بيتك. قال: فإن دخل عليك أحد إلى البيت؟ فقم إلى المخدع، فإن دخلك عليك المخدع فاجث على ركبتيك، وقل: يؤيأني وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فقد كسرت حد سيفي وقعدت في بيتي، وفي الباب عن أبي ذر أخرجه أبو داود في سننه (٢١/٥، ٢٢) وابن ماجه في سننه (١٣٠٨/٢) وأحمد في المسند (١٦٣/٥).

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي صَبِّحٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٣٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[النحل: ١٢٧-١٢٨] ،
ومن مثل قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ،
وكان لهذه المعارف الربانية في الجانب العملي الذاتي انعكاس عجيب على
النفس والعقول والقلوب، وهي ترى الخصم والعدو والظالم يتمتع بالظلم،
ويترفع في حقوق الآخرين غير راغب في الإنصاف ولا مذكر ولا متذكر، وبهذا
يكون ردة الفعل منهم بعد النصيحة، والقيام بما يجب الإعراض وعدم المشاركة
للظالم، والاعتزال عن تيار حركته ومصالحته، استجابة أيضاً لقوله تعالى :
﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

والجاهلون من هذا النموذج هم العلماء والحكام والمتقنون الذين امتلكوا
نصيهاً من العلم والقرار، ولكنهم جهلوا على الغير بالسفه والبطر وعُصِط الحق
بعد معرفته، فلا جزاء لهم من الرجال الصالحين - أهل الله - غير الإعراض
والتغافل .

إنَّ حقيقة الأحاديث النبوية والآيات القرآنية المنظَّمة للعقلاء أهداف الحياة
كلها مجموعة في الركن الرابع من أركان الدين، ومبثوثة في كُتُب الحديث
والتفسير، خصوصاً عند أبواب الفتن والملاحم وعلامات الساعة، وقد اعتنى

رجال النمط الأوسط رضي الله عنه وأرضاهم بتحويل هذه العلوم والنصوص إلى سلوكٍ عملي وأخلاق يومية يواجهون بها تقلبات الحياة وتحولات المراحل.

ومع انعدام الدراسة الواعية لأركان الدين وانشغال الجميع بمخارج التحولات السياسية والتطورات الإعلامية والاقتصادية، وانسحاب الكثير من رجال الحق الشرعي بالأسباب المشار إليها سلفاً عن مواقع القرار التعليمي والتربوي؛ جاءت البدائل المسيسة عالمياً، ونافست نماذج الأبنية المتناقضة المتعارضة التي خلفتها للأمة في مراحل الصراع والنزاع القبلي والسياسي الداخل.

إن دراستنا المستجدة لفقه التحولات الشرعي من داخل الديانة ونصوصها وإعادة قراءة الأصليين العالمين الكتاب والسنة بنفس الأخلاق النبوية ذاتها - وليس بأنفاس السياسة والتسييس - يجعل من هذا الفقه الشرعي دليلاً علمياً لتفسير مواقف النمط الأوسط، وأيضاً دليلاً عملياً لتهور واندفاع أطراف الإفراط والتفريط في سبيل الدنيا ومصالحها الفانية.

وبمقدار غياب الإدراك والعلم بحقائق فقه التحولات وما يترتب عليه يتردى الظالمون في ظلمهم، ويندفع المدفعون في تحدياتهم، ويستمر أهل التعدي في تعديهم، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رجم.

إن العديد من أولي المعرفة يفسرون سلوك أهل النمط الأوسط حكمةً منهج السلامة بالانهازية، والهروب عن مواجهة الواقع، والجبانة المخالفة لمفهوم الديانة القائمة على العزّة وخوض المعركة مع الباطل وأهله.

وعندما نعرض الأمر على فقه التحولات ونصوصه الشرعية نرى حقيقة الفراغ المعرفي لدى أولئك المعجبين بإصدار الأحكام والفتاوى، وخصوصاً في دقائق هذا الفقه الشرعي الخاص بمواقف الرجولة لدى تحولات المراحل وتقلبات الأزمنة، ووقوعهم وللأسف في طرقي الإفراط والتفريط من حيث رؤيتهم الاندفاعية للأمور.

لقد كانت الصديقة عائشة رضي الله عنه يوماً من الأيام في تاريخ التحولات تسيرُ على بعيرها مع الجيش المناهض للإمام علي، وبقناعة تامة واجتهاد شرعي خاص، ولما بَلَغَتْ إلى موقع يُعرَف بـ(ماء الحوَاب) نبحتها الكلاب، فَسَأَلَتْ مَنْ حَوْلَهَا عَنِ الْمَكَانِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ (ماء الحوَاب)، فَصَاحَتْ «رُدُونِي رُدُونِي»^(١) أي: أرجعوني إلى حيث كنت، حيثُ تبيّن لها بالنص الشرعي مِنْ فَقْهِ التحولات

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥٢/٦) والحاكم في المستدرک (١٢٠/٣) من حديث قيس بن أبي حازم، عن عائشة، وفي الباب عن ابن عباس قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٧/٧) رواه البزار ورجاله ثقات.

الخاص بمجريات الأحداث والتقلبات أنَّ موقفها السياسي في هذا الخروج غير مشروع، وأنَّ اجتهداها باطل، وارتفع صوتها، وتوقَّفت حركة الجيش، وكاد الموقف أن يتغير في الجيش كله، وفَطِنَ المهندسون للقضايا والمحركون للأمور عَكْسَ تيار الحقيقة أنَّ موقف عائشة قد يقلب موازين المعركة كلها، فجاء قائد الجيش بأربعين حالفاً بالله أن هذا الماء ليس ماء الحوَّاب، فَصَدَّقَتْهُمُ عائشة، وَفَدَّ قضاء الله وَقَدَرُهُ.

لقد سارت مسيرة التسييس للمعركة وفق مُراد الشيطانِ ووكلاته، بينما فقه التحولات الشرعي قد دفع الاجتهاد الخاص وأبرز بالسَّمة والعلامة خطورة المسيرة الزاحفة، وَبَقِيَتْ هذه الحادثة ومثلها في نَفْسِ الصَّديقة تُمثِّل مدرسة عظيمة الأثر والتأثير، بعد أن عرفت حقائق الأمور، وانكشفت لها خطورة ما سارت إليه بتأييد أهل البغي والاندفاع، كما برز لها شرف المعاملة التي عاملها بها رجال النمط الأوسط وهو يتذكر من نصوص فقه التحولات قول المشرِّع الأعظم ﷺ: «إن وليت من أمرها شيئاً فإرفق بها»^(١).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤١١/٦) من حديث أم سلمة، وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر. قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن إذا كان ذلك

ومفهوم الرفق الذي ينص عليه رسول الله ﷺ للإمام علي يشير إلى ضرورة العقل في التصرف خلال المعركة والحرب، وقد فَعَلَ ذلك، وهذا ما يميّز رجال النمط الأوسط عن غيرهم في الحرب والسّلم.

فالذين بَقِيَ في نُفُوسِهِمْ شَيْءٌ مِنْ مَوَاقِفِ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ أَمَامَ الْإِمَامِ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَهَبَ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ مَفْهُومُ الرَّفْقِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ ﷺ لَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّمْطِ، وَفَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ، فَكَانَتْ مُخْرَجَاتُ تَنَاقُلِهِمْ لِمَوَاقِفِ الصَّدِيقَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوَاقِفَ الْمَحَاسِبَةِ وَالطَّعْنِ وَاللَّمْزِ وَالْهَمْزِ، مِمَّا يُوَكِّدُ نَزْوِلَهُمْ إِلَى طَرَفِ التَّفْرِيطِ الْمُسَيْفِ.

وكان موقف الإمام الحسن من الرفق بالأمة بالمكان الأوفى، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا تَنَاوُلُ مَوَاقِفِهِ الشَّجَاعَةِ وَفِي أَحْرَجِ مَوَاقِفِ اتِّخَاذِ الْقَرَارِ، وَهَكَذَا يُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَتَّبِعَ مَوَاقِفَ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى قَضِيَةِ الْأَخْذِ بِالسِّيفِ وَالرَّمْحِ وَالسَّلَاحِ، وَحَتَّى مَرَاحِلِ الْأَحْفَادِ وَأَحْفَادِ الْأَحْفَادِ فِي مَنْ سُمِّوا (بَقِيَّةُ السِّيفِ وَوَسَادَةُ الصُّلْحِ) أَوْ مَنْ يَدْخُلُونَ فِي مَفْهُومِ النَّمْطِ الْأَوْسَطِ بِالْعَمُومِ، فَالْجَمْعُ مِنْ هَذَا النَّمُودَجِ أَسَّسُوا مِنْهُ السَّلَامَةَ، وَوَضَعُوا قَوَاعِدَ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ

فارددها إلى مأمنها. قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٧/٧): رواه أحمد والبخاري والطبراني ورجاله ثقات.

بَرَزَتْ مِنْ ثمرات هذا المنهج الواعي مدرسة الزهد الإسلامي المعروفة بالتصوف النقي المعتدل.

والتصوف النقي المعتدل هو الأنموذج الفكري العلمي العملي المؤسس منذ بدء المرحلة الإسلامية الأولى على يد رواد النمط الأوسط، وتفرعت منهم في العالمين العربي والإسلامي مدارس الزهد والتصوف المتنوعة بعد ذلك بما فيها من طرفي الإفراط والتفريط.

إن الإفراط والتفريط ينبت في جو السلامة والاعتدال، ثم ما يلبث أن ينحني إلى أحد جانبي الإفراط لدى المحبين والغلاة، أو إلى جانب التفريط عند المبغضين الجفافة، وقد كان أساس ظهور هذه المدرسة العالمية مواقف الأئمة الزاهدين عن الدنيا وزبانيتهما، وكانت هذه المواقف - كما أشرنا سابقاً - تدل على عُمق القراءة الواعية لعلامات الساعة وما يكون فيها مِنْ هَرَجٍ وَمَرَجٍ وَمَحَنٍ وَفِتْنٍ تَدْعُ الحليم حيراناً، وما ترتب على هذه القراءة من معالجات شرعية تحفظ الفرد والأسرة والأمة، أمّا ما يتعلق بمسألة الجهاد في سبيل الله - مِنْ وجهة نَظَر هذه المدرسة - فهو أمرٌ لَا غُبَارَ عليه، إذ لم تعطل المدرسة ركناً شرعياً في حياة الأمة، وإنما اتخذت موقف السلامة من الحروب الداخلية المتخذة شكل الأطماع

و التنافسات على القرار والحطام، وَمِنْ حروب الثارات والصراعات التنافسية القائمة على العِرْق والطائفية والقبلية.

وقد سَهِدَ رجالُ هذه المدرسة التطاحن الداخلي بين المصلين، فكانَ لا بُدَّ هُم من اتخاذ الموقف الايجابي المناسب، والموقف المناسب هو ما نصَّت عليه الأحاديث الشريفة مِنْ كَسْرِ السيف ولزوم البيت، وَعَدَم المشاركة في الظُّلْم وأسبابه^(١).

وليس بعيد أن تقوم مدرسة النمط الأوسط - ساعة قيام الجهاد الشرعي الموثوق في سبيل الله وبالشروط المعتمدة - بإعادة النظر في مسألة (كسر السيف)، وخاصةً عندما يكون الجهاد في سبيل الله جزءاً من بناء فُرَص السلامة للأمة، واقتلاع شَجَرَةِ التَّحْرِيش الكافرة، أما الحال ما نَحْنُ عليه وما سَبَقَ للأمة الوقوع، فإنَّ فِقْهَ التحولات يؤيد مواقف الالتزام ودعوات السلام، ومعالجة

(١) وفي ذلك ما رواه الحسن بن علي قال: «قال محمد بن مسلمة: أعطاني رسول الله ﷺ سيقاً فقال: قاتل به المشركين ما قاتلوا، فإذا رأيت الناس يضرب بعضهم بعضاً (أو كلمة نحوها) فاعمد إلى صخرة فاضرب بها حتى ينكسر، ثم اقعد في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية»، أخرجه أحمد في المسند (٢٢٥ / ٤) ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع.

السلبات من داخل الثوابت المنصوص عليها في مراحل الفتن وفقدان القرار من غير إجحاف ولا إسفاف.

إنَّ مسألة المحافظة على دماء الشعوب، والعمل على سلامة عيشها، والاستفادة من الظروف المهيئة لها في البناء والتنمية، وتقاسم المصالح المشتركة مع سلامة ثوابت التعبد والمعاملة هي من المهمات الضرورية لدى رجال مدرسة النمط الأوسط في كافة المراحل التاريخية، ومنها مرحلة الإمام الحسن بعد عودته من العراق مع أهل البيت، ومكثته تسع سنوات أو تزيد وهو قائم بالحقوق غير منافس لسلطان، ولا مطالب بقرار، ولا متأمر في الظل من أجل الحصول عليه، ويؤكد ذلك موقف رجال هذه المدرسة من بعده كمرحلة الإمام المهاجر في حضر موت، وتأسيس السلامة كلها جيلاً بعد جيل، حتى المرحلة المعروفة بمرحلة العهد القبلي حيث استخدم آل البيت ورجال النمط الأوسط نفوذهم الروحي في توسيع فُرص الأمان والسلامة بين الشعوب والقبائل المتناحرة، وفتحوا أبواب الأربطة والمساجد للتعلُّم الشرعي، دون تمييز أو انتقاء، ونشروا الدعوة إلى الله في الخاص والعام دون الحاجة للميزانيات المالية أو المخصصات الحكومية أو الانتهاآت الحزبية التي يَرَّخَر بها اليوم مجتمعا العربي والإسلامي، ولا زالت هذه الأنفاس الأبوية في كثير من بلاد اليمن إلى اليوم سائرة في طريقها،

وخاصة فيما يتعلق بنشر الدعوة والتعليم، وأما ما يتعلق بالمواقف الأخرى فقد انتهى دورها بدخول البلاد إلى مرحلة التسييس الحكومي خلال مرحلة التطبيع لمناطق الجنوب آنذاك فيما كان يسمى بالحماية البريطانية وما تلاها.

لقد كانت قضية التحولات وفقه المواقف فيها مسألة هامة لدى رجال مدرسة النمط الأوسط منذ القدم، واستمر العمل عليها والالتزام لها دون تغيير أو تبديل برغم المضايقات المتنوعة والضغطات المرحلية المتعددة ذلك لوجود الرجال الذين يقتدى بهم، والأئمة الذين يهتدى بهديهم ويُرجع إليهم، والشيوخ الحاملين سر الوراثة .

أبّ يتلقى عن أبيه وهكذا فيالك من أبناء كرام وأجداد وفي مرحلتنا الأخيرة اهتز هذا الشرط الأبوي في غالب المتسبين إلى هذه المدرسة لما قد جرى من التحولات السياسية والثقافية الإعلامية التربوية والتعليمية، وكان لهذا الاهتزاز أثرٌ بالغ في موقع المدرسة الأبوية ومكانتها الدعوية والثقافية.

ولأجل معالجة هذا الخلل الخطير في منهجيتنا الأبوية وعلاقتنا الشرعية بمدارس النمط الأوسط التاريخية برزت فكرة الإعادة الضرورية لدراسة فقه التحولات، وربطه شرعاً بالركن الرابع من أركان الدين، وشرح ثوابته للأجيال

الراغبة في فهم حقائق الالتزام بالديانة في كافة مراحل التقلبات، وإبراز شَرَف السلوك الذي حافظ عليه الأئمة الهداة حيثما كانوا ونزلوا.

ودعوة صادقة لمن رَغِبَ من أحفاد وأتباع هذه المدرسة المباركة أن ينال بركة أسلافه فيه ويقرأ حقيقة حالهم من داخل مدرستهم مع كمال الإنصاف والانتصاف، فلعل وعسى أن يكون ذلك سبباً في إنفاض الأحوال والقلوب وتحسن الرجوع إلى علّام الغيوب، وحسن التأدب مع السلف ومواقفهم التي حَفِظُوا بها شَرَف الأبوّة ودعوة النبوة من غير إفراطٍ ولا تفريط.

المناهج الأبوية والمواقف المأخوذة عليها

عندما نعود إلى مؤلفات المرحلة المعاصرة على مدى خمسين عاماً أو تزيد نجد تغيراً خطيراً في أسلوب التحليل لمعتقدات ومواقف وعادات وتقاليده وعلاقات المدارس الأبوية التقليدية المعروفة باسم الصوفية والمذهبية وآل البيت، وعندما يتسع المرء في الملاحظة والمتابعة لبعض الأجهزة والمنابر ذات العلاقة بمدرسة معينة، يجد التركيز المباشر في الانتقاد والنز والهمز واللمز ليصبح ظاهرة المرحلة وعلى السبيل الجميع، بل ويكون في بعض الأحيان على السبيل الأطفال وَجَهَلَة البدواة والنساء، فالكل يتناول النبز بالتشريك والتظليل وشمول البدعة لكل ما يُمَثُّ إلى القديم بِصَلَة.

وصار الأمر مع مرور السنوات المتتالية مستفحلاً في كل قرية ومدينة وناحية، وعلى غير ضابطٍ دعوي أو تربوي أو تعليمي، بل صار الأمر أشبه ما يكون بالنظر إلى المعلول بصرف النظر عن حقيقة علته الذي يجب أن لا يحتك بالآخرين سواء عرف الناس عدوى العلة أم لم يعرفوها.

ونحن هنا في كتابنا هذا قد أعطينا المدرسة الأبوية بأسسها الثلاثة (المذهبية والصوفية وآل البيت) موقعاً هاماً من حياة الأمة عبر التاريخ الإسلامي كله، وأطلقنا عليها مسميات (النمط الأوسط) و (بقية السيف وسادة الصلح) و

(مدرسة الزُّهد) باعتبار تسلسلها السندي والعلمي والتاريخي بالأصول الأولى في حياة الأمة الإسلامية، فهل يعني هذا أنَّ تناولنا المدرسة الأبوية الذوقية بالعاطفة المجردة والانتفاء الذاتي دون أن ننظر في السليبيات والجنوحات، أم أن تربيتنا الأولى ودراستنا العلمية المرتبطة بهذه المدرسة قد أعمت علينا البصر وعتمت الرؤية مثلما قال المثل العربي: «حبك الشيء يعمي ويصم»^(١) أم غير ذلك؟

والإجابة على هذه التساؤلات يعيدنا إلى جذر المسألة وأساسها والجذر لمثل هذه المسألة أن الإسلام وديانته الشرعية عبر تاريخ التحولات قد خدم خدمة

(١) قد روي هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ فأخرج أبو داود في سننه (٤٠٨/٥) وأحمد في المسند (١٩٤/٥) والبخاري في التاريخ الكبير (١٠٧/٢) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «حبك الشيء يعمي ويصم»، وأخرجه أبو الشيخ ابن حبان الحافظ في الأمثال (ص ٧٠) من طريق محمد بن مصغي، ثنا بقة، ثنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، قال: كنا في قافلة فخرج علينا بلال بن أبي الدرداء فقطع علينا الحديث، فقلنا: ابن صاحب رسول الله ﷺ وقال: سمعت أبي يقول: (ثم ذكره مرفوعاً) ومحمد بن مصغي مدلس لكنه صرح بالسماع، وكذا شيخه بقة فهذا إسناد لا بأس به وبه يكون الحديث حسناً.

علمية كبرى على أساس الاعتناء الواعي بأركان الدين الثلاثة: (الإسلام، الإيمان، والإحسان) واجتهادات وفهوم وأصول وتفرعات وإفراطات وتفريطات، واختلف علماء المذهبية والصوفية وآل البيت في فهمهم وتعليلاتهم للنصوص والأصول، وتراكم في الواقع العربي والإسلامي فوق المذاهب المشار إليها مذاهب أخرى ذات مفاهيم أخرى جَنَحَتْ إلى طرفي الإفراط والتفريط، واختلط الخابل بالنابل كما يقولون، وصارت القراءة للواقع لدى بعض المصلحين قراءة تشاؤم وتعليل حالة وظاهرة، دون التمحيص في قضايا الأسباب والمسببات، بل صار بعضُ أهل العلم الراغبين في إعادة الالتزام بالديانة على وجهها الصحيح يُصدر الأحكام تلو الأحكام على ما يراه سلبياً دون أن يكلف نفسه عناء التصحيح والتصويب واختراق مواقع العلة لاكتشاف موقع الخطأ، ومعرفة بؤرة الفساد والإفساد وأسبابها.

ووقع المسلمون في واقعهم المتحوّل ضحيةَ نموذجين من المصلحين: مُصلِح ينظر إلى الحياة من حيث هو، ولا يعطي الآخرين ممن ينهجون المنهج المخالف له موقعاً من الإصلاح والإعادة.

ومُصلِح ينطلق في سيره العلمي والعملية وفق برنامج سياسي أو مسييس لا بديل عنه ولا حياد فيه، فهو بلا شك غير قادر على الخروج من دائرة هذا

التأسيس، وملزم بإشاعة ثقافة برنامجه ولو على حساب الشعوب، وتحت هذين النموذجين سرى الإشكال في العلاقات تلو الإشكال منذ العهد الأول حتى جاء عهد الغنائية.

وعهد الغنائية عهد سباه رسول الله ﷺ واعتنى بتحديد مخرجاته وإيضاح هويات دعائه وحماته ورجاله، ولكن النموذجين من المصلحين المشار إليهم لا يعرفون شيئاً عن المراحل ولا عن محركي أو ناقضي ثوابتها، وإنما يقتصر نظرهم على تسويق المبيعات والمنتجات والمخرجات، ويستلمون عائدات عملهم الشرعي والوضعي من الجهات الرسمية وشبه الرسمية، وحتى اليوم واليلة.

وهنا أصل المشكلة وأسبابها وهنا أيضاً عند فهم الأمر حلّها وعلاجها، وأول المعنيين بهذا الأمر أمناء العلم ثم أمناء الحُكم، وأكرر العبارة: أمناء العلم وأمناء الحُكم، ليفهم القارئ ما أعنيه من لفظة الأمناء، لأننا سنَضَع العِلْم والحُكم خلال تحولات المراحل في ميزان التمهيص، ولن نتعرض لجزئيات الصراع المتعلّق بين أتباع المدرسة الأبوية وأتباع المدرسة الرّبوية، لأن هذا الصراع هو الوقود والديناميت الناسف بمتناقضاته تركيب العلاقة الشرعية بين الشعوب، وإنما سنتناول مواقع العلة ورأس التحول وأسباب المغالبة في الواقع الملغول، وسندين بمواقع دراستنا الواعية من خلال قراءة لغة الإسلام العالمية

كتاب الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ ومادة الأخلاق النبوية عباقرة التسييس والتدنيس ووكلاء الشيطان المدرّين الذين وصلت أيديهم وعقولهم إلى موقع قرار الأمة فأعادوا هندسة الأديان والتدين وعلاقة المصلين في العالم المغلوب على أساس الشعار العالمي للشيطان (فَرَّقَ تَسُد)، فكان هذا الشعار العالمي وأسباب تنفيذه في العالم عاملٌ أساسي للصراعات والنزاعات بين الشعوب والدول والأنظمة والمذاهب والجماعات والجمعيات، إسلامية أو غير إسلامية باعتبار عداوة الشيطان للجميع.

إننا نضع تحليلنا للأمور بكمال الوعي والإدراك بعيداً عن الطموحات والعواطف والمجاملات، والوعي والإدراك هنا ليس ثمرة قراءة الواقع ولا مخرجاته ولا الاشتغال بمؤلفات السلفية ضد الصوفية ولا العكس ولا السُنَّة ضد الشيعة ولا العكس، ولا الاشتغال أيضاً بمخرجات الصراع السياسي بين المجموعات المتنازعة كرامي القرار بين الحامل للقرار والمعارض له، ولا بما تحرّره يوماً وشهرياً صُحُف المرحلة ووسائلها الإعلامية، ولا حتى بما تجلجل من أصوات العلماء الأفاضل من منابر المساجد الثلاثة والأربعة والخمسة والألف والمائة ألف، فهذه في غالبيتها مخرجات التحوّل وثمره التسييس إلا مَنْ رَحِمَ الله، ويدخل فيها مسرحيات الحروب الإقليمية والعالمية، وحروب

الطائفية والعرقية والقبلية والثارات وغيرها من الحشودات السالفة تاريخياً،
والحشودات الجديدة المجهّزة لمراحلنا المعاصرة وما يليها استمرار لإنجاح
مشروع الشيطان العالمي في الإنسانية جمعاء.

إن كمال الوعي والإدراك هنا هو قراءة جديدة للقرآن والسنة بلسان النبوة،
وشرف تسلسل الأبوة المحفوظ بحفظ الله من غير إفراط ولا تفريط ولا جنوح
ولا إفك ولا استحضارات ولا استخدامات ولا طلسمات ولا سحر ولا تضليل
ولا كبرياء ولا عجب.

إنها القراءة الواعية للمادة الشرعية المنزلة من عند الله لعلاج الأمة في عصرها
الأخير، القراءة الجديدة بقوله تعالى عن كتابه: ﴿مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
(الأنعام: ٣٨)، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذِرَ بِهِ قَوْمًا
لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

إن هذه القراءة للأصلين الشريفين بلسان النبوة، ولسانها الأخلاق المحمدية
العظمى المقررة عظمته في سورة ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
بِمَعْنُونِ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿[القم: ١-٤]، هذه
الأخلاق النبوية العظيمة مدرسة الديانة الأخيرة في العالم وليست خصوصية
لرسول الله ﷺ فقط، إنها الميزان الأعظم، وهو الفيصل الحق بين الخير والشر،

والحق والباطل، والصدق والكذب، وهي أيضاً مادة الكشف الشرعي لمجموعات العمل الإسلامي الأبوي، ومجموعات العمل الاستسلامي الأنوي، وبها تنقش سحائب الجهالات والضلالات والتهم الجائرة على أمة العبادات وصالحى المسلمين والمسلمات، إنها قراءة تعيد الاعتبار للمسلم والمسلمة، وتدمغ الإفك الكاذب ومن يعمل للإصاغة بأمة التوحيد وتوحيد الأمة، ومن يعمل لتلويث آل البيت وإغفاله موقعهم من النمط الأوسط وإقصائهم عن دورهم الريادي في تسيير دفة السفينة المدفعة في طوفان المنافسات.

إن الناظرين لآل البيت من نظرة العِرْق والطَّبَقَة والذوات أو من نظرة التحولات ومشاركة البعض منهم في هذه المنطلقات المسيّسة إنما يعيدون الرؤية الإبليسية، لأنهم لا يستطيعون أن يشهدوا خصوصية التوجه الشرعي في مدارسهم ومناهجهم إلى الخير وأهله، فيرون الخير شراً، وأن أهل الشر هم أهل الخير والعكس كذلك.

ومثل هذا الفهم الشرعي غائب تماماً على أولياء الشيطان وإن كانوا في المحارِب أو فوق المنابر، فالشيطان مستثمر سلبى للديانة، ومتحرك ناجح بها، بل كانت أول وسائله في إحراج الإنسان وإخراجه من شرف السكنى في العالم الأبدى، وهي أفضل وسائله عبر العصور لإحراج الإنسان وإخراجه من شرف

المنهج الأبوي الشرعي إلى مشروع المنهج الأنوي الوضعي، القائم على التفرقة والإفك والخيلة والتربص والاحتناك وسوء الظن وتشويه الحقائق والمدافعة عن الشر والموت من أجله، ولم يكن الإنسان المتلبس بهذه النقائص إلا ضعيف الذات قرين النزوات شيطاناً في صورة إنسان، وإبليس مخلوق ظالم في صورة حاكم أو عالم.

إن الأصل الرابع من أصول الديانة قد أثبت شمول الغفلة والعماية في المراحل المتحوّلة، كما أثبت وجودها في عصر الوحي والرسالة لدى مجموعات النفاق والكفر والإرجاف، وأثبت خطورتها على العقل والوعي والسلوك، وأشار إلى قدرة مخرجاتها الفكرية على قَلْبِ حقائق الأمور واستثمار الشعوب لخدمة الشيطان ومشاريعه الفاجرة الكافرة وبصلاية وقوة منقطعة النظير، وما كانت حياته ﷺ إلا ساحة معركة مجتمعة الشروط لإبراز الحق إلى قيام الساعة، وقلنا إلى قيام الساعة وليس إلى وفاة رسول الله ﷺ وانقطاع الوحي، لأنها معركة واحدة في مرحلة واحدة، بيّنها ﷺ بقوله: «يُبْعَثُ أَنَا والساعة كهاتين»^(١)، ولأجل أن يكون لمواقفه في التحولات حضور نبّه ﷺ إلى بعثته الشرعية ومسؤوليتها العالمية إلى قيام الساعة، وأن هذه المسؤولية جزءٌ منها في تثبيت قواعدها مبنيّة

(١) سبق تخريجه.

على وجوده ﷺ ذاتياً في الحياة الإنسانية مدعوماً بالعصمة والوحي، وأما ما بعد ذلك فتفسير الأمور وفق القواعد التي هيأها بالرجال والنصوص والآداب مضارعة للسلبات المعارضة كلها، فَمَدْرَسَةُ الْيَهُودِ والنصارى اليوم هي تلك المدرسة الأولى التي عاصرت بزوغ فجر الإسلام وتآمرت عليه ولم تهادن ولم تجامل، بل اخترقت صفوف الأتباع في المدينة وعَمَلَتْ على إذكاء نار الجاهلية والعرقية والقبلية ودعمتها مادياً وعلمياً وروحياً.

ومدرسة النفاق كذلك ترَسَّخَتْ منذ وصوله ﷺ إلى المدينة وبرزت معادلاً خطيراً داخل سقف المسجد الحرام وداخل جيوش معارك الإسلام، ولم تتخلف عن الصلاة والصيام وإقامة شروط الشرع العملية والتزام ظاهر الأحكام، وحاولت أن تشق عصا الطاعة وتشطر القرار بسياسة الشيطان (فَرَّقَ تَسُدَّ) وعَمَلَتْ على ذلك ببناء مسجد الضرار، وكادت أن تنجح لولا عناية الله تعالى ونزول الآيات الكرييات الأمرة بهدم المسجد.

ولكن الذي لم يتحقق للمدرسة في عهد الوحي وعصمة صاحب الرسالة ﷺ قد تحقق بيقين فيها بعد ذلك، وَلَيْسَتْ تلك القوى لباس الإسلام ذاته ليحقق برنامج الشيطان في لباس الإسلام وشخص ممثل، فالغاية تبرّر الوسيلة.

إننا نتناول قضايا خطيرة مِن كُلِّ جهاتها، ولكننا لا نرغب في الحيلة ولا الكَذِب ولا الخيانة، فالشعوب مخدوعة، والمدارس الإسلامية الأبوية موجودة، والقوى الإبليسية المؤثرة والفاعلة مجموعة، ولسنا فقراء عن الحق بل نحن مغَيَّبون عنه، ولا مجال البتَّة للصمت بعد ظهور الحقائق، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، والذين نرجو لهم ولنا الهداية واتباع الحق هم المخدوعون المغرور بهم، وهم قومٌ كَثُرَ مِنَّا ومن غيرنا، وأما غيرهم فلا نطمع في إلزام أحد بالاتباع وإنما نبسط له الحقيقة ونذكره بالله وآياته فلعلَّ وعسى...

وهناك وبعد هذا الإيضاح من يفهم الأمور مغلوطة ويفسر العبارات تفسيراً يتلاءم مع توجهاته وأفكاره الدائرة في ذات القَلْكَ المسيس أو قريباً منه ليستثمر الفكرة ويتقمص الصورة ويوظف الرؤية الجديدة ضمن المشروع العالمي للشيطان، وهذا أمرٌ مُتَوَقَّعٌ ومُسْتَظَرٌّ ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآثِبِينَ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ۝﴾ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۚ فَمَا تُغْنِ الْهُدَى﴾ [الفرع: ٥٠].

ونحن لا نعني هنا غير من يرغب السلامة في نفسه وفي علاقته الشرعية بغيره على أساس من البناء الواعي المعتدل كما قد سبقت الإشارة في الفصول السابقة، ذاك لأن الراغبين في التحريش لا ينطلقون من هذا المنطلق الشرعي،

وإنما أشغلوا أنفسهم بترئة أنفسهم وإحراج غيرهم والإصرار على إصدار الأحكام بالتكفير والشريك والتبديع حيناً للمجموع وحيناً للأفراد.

والتشريك والتكفير ليس إلا دلالة على إصرار الفرد أو الجماعة على تحمّل مسؤوليات الحكم وقبول تبعاته عند الله ﷻ لما تقرر لديه من الدليل الموهوم، فأحرج نفسه ثم صار يوزّع الإحراج على الأمة، ومثل هذه الظاهرة ليست جديدة في سوق المواجهة بين الحق والباطل، وإنما هي قديمة قدّم الإسلام ذاته، وإنما بقى اليوم بعض ثمراتها وآثارها وامتداداتها.

ومنها إصرار العديد من علماء ومهندسي هذه الفئات على الفصل بين الإسلام وبين أتباعه مع الاعتراف التام بفعالية مدرسة الإفراط والتفريط وتبنيها في المعاملات والأحكام والمواقف، ومنها الوقوف ضد المدرسة الصوفية.

ولأنّ الصوفية - من وجهة نظر فقه التحولات - ليست مدرسة مستقلة عن المذهبية وآل البيت، بل هي مزيج مختلط، فالفصل المتعمّد للصوفية هو أيضاً عزلٌ وفصل للتصوف على موقعه الشرعي من أركان الدين الثلاثة، لأنه الركن الثالث من أركانها وهو الإحسان، ولن يقوم بمثل هذا الفعل من الفصل والإقصاء إلا فرد أو مدرسة منقطعة الصلة بهذه الثوابت الشرعية المستندة إلى الأصلين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولو من بعض الوجوه، وهدفها الغائي هو

هدف الشيطان ذاته من شعار (فَرَّقْ تَسُدْ)، وقد حَقَّقَتْ هذه المدرسة الجافية نسبة من السيادة بحملها لواء التفريق بين التصوف الإسلامي والإسلام، كما حققت المدرسة الغالية الأخرى هَدَفَ الشيطان في الأمة المحمدية بعمومها في المذهبية والتصوف وآل البيت.

إن دعوة النمط الأوسط عبر تاريخ التحولات يعنى ببناء الأمة على المحبة والرحمة والسلام، ويدفع عن الأتباع كافة عوامل الإفراط والتفريط المشار إليهما سلفاً، وعدم تعميم الأحكام على الكل من المخالفين والمتشددين.

فالإسلام دين الفُسْحَى والمعالجة والقُدوة الحسنة بسلوك النبي ﷺ في أشد مراحل الحرج، وقد استطاع ﷺ أن يتسع في ظاهر سلوكه وعلاقته مع شريحة النِّفاق في مسجده الشريف، وفي حربه وسلمه، دون إثارتهم أو إصدار الأحكام العلنية بطردهم أو مقاطعتهم عموماً، وإن كان القرآن قد كشفهم ولعنهم لأنه ﷺ يرسي لأمته ثوابت المعاملة مع الموافق والمعارض، وعلى هذا الطريق سلك العلماء والصالحون من أتباع النمط الأوسط.

أما طرفا الغلو والجفا فقد ضلّا في كافة المراحل بسبب الاصطدام والحروب والفتن والاشتغال المُفْضي إلى الدمار وزعزعة الاستقرار، وحيثما بَلَغَ هذان الطرفان موقع القرار - سواء قرار الحكم أو قرار العلم - فلا يصنعان غير

الأزمات، ولا يعترف أحدهما بالآخر من جهة، كما لا يعترفان جميعاً بالنمط الأوسط، ويعملان على إفشال دوره الشرعي في الحياة، وهما امتدادان لزيان للجنوح العالمي في اليهود والنصارى الذين جَلَبَ الشيطان عليهم بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ حتى وَصَفَ القرآن حالهما وهم يصدران الأحكام ضد بعضها البعض بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ أَنْصَارِي عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣].

إننا في منهجيتنا الإسلامية الشرعية منهجية المدارس المنطوية تحت شعار الأبوية ونمطها الأوسط تدعو الشعوب إلى تصحيح رُكَّام الإفك المَقْنَن والإفك المصنَّع الذي جَعَلَهُ المغرضون المستثمرون هَدَفًا لِانْجِاح مشروع التكفير للمسلمين عند قوم، واللَّعن والإدانة للصحابة الأولين عند آخرين، ونَحْنُ بِمِثْلِ هذه الدعوة الهامة إنما نؤكد وجود طابور ثالث في داخل الأبنية الإسلامية الشرعية يتخدم الشيطان والكفر والدجال، ويحقق لهؤلاء الثلاثة مُرادَه في الشعوب حيناً بِإِثَارَةِ أطراف الإفراط، وحيناً بِإِثَارَةِ أطراف التفریط، وقد عَهِدَ الشيطان مع عصاباتة الإنسانية حماية هذين الاتجاهين في الأمة لأنها وسيلته الاندفاعية، والدفع بهما إلى ساحة الحركة وامتلاك القرار حيث يتحقق بهما وبمخرجاتها العلمية والعقدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية منهج

الدَّجَلُ المسيس المؤدي إلى الفشل والإحباط والتفريق والصراع، لأنهما في كل الأحوال يميلان البديل المسيس كَيْفَكُرْ، ويميلان الأسلوب الماسخ كسلوك، فيؤديان بهذين المعادلين ما لا يؤديه الكُفْر الصريح، والكُفْر الصريح عقيدة الشيطان، وأما الفُكْر المسيس والسلوك الماسخ فهو البديل المتأسلم لإغواء المسلمين وإثارة الفتنة فيما بينهم ليخدموا عقيدة الكُفْر وهم لا يعلمون، وخدمة عقيدة الكفر أن ترى أفعاع هذه المدرسة يتحملون تكفير الأولياء والعلماء والصحابة معتمدين على مخرجات الإفك المكتوب عنهم^(١) ومتلهفين سِنَهُم

(١) تعتمد مدرسة التفريط المسيس على الكثير من الحكايات والروايات التي تنسب إلى الصوفية ويخدم طلابها وعلمائها إخراجها على أنها عقيدة الصوفية وأفكارهم وديانتهم، وهي مجرد حكايات وقصص منها ما كتب بأقلام التلاميذ والمريدين الواقعين تحت تأثير التنافس المريب الغريب فيما بينهم، وحيناً يكون منها ما كتبه بعض المغرضين الهواة للتشويش بين المسلمين، وهذا أمر معلوم ليس في حكايات الأولياء فقط، وإنما في أحاديث الرسول ﷺ وأخبار صحابته، والدس على العلماء والصالحين في المرقومات أمر معلوم وشائع، بل صارت مدارس القبض والنقض والإفراط والتفريط تكذب بكل ما ينسب إلى بعض العلماء والمحدثين والحفاظ متى ما كان حُجَّةً عليهم، وينفون علاقته بفلان أو أن يكون من تأليف فلان وإنما دُسَّ عليه لنفي التهمة عنهم، والصوفية مدرسة حملت حواراً بين الإفراط والتفريط والاعتدال مثلها مثل أي مدرسة في الإسلام وليست

وَشَغَفَ عن البحث الدؤوب لما يثبت كُفْرُ الصوفية، أو يثير الشبهات حولهم سواء كانوا من السَّلَفِ الماضين أو من العلماء المعاصرين، فالمسألة لا رجوع عنها ولا هوادة فيها، مع العِلْمِ أَنَّ الصوفية المعاصرة والسلفية المعاصرة وكل

برية عن الغلو المفرط ولا الجفاء المفرط؛ ولكنها تبرز ناصعة جليلة في منهج الاعتدال..
منهج النمط الأوسط.. منهج السلامة.

وكم لهذا النمط الشرعي من فضائل إلا أن مدارس القبض والنقض لا يعينها الاعتدال، فالاعتدال في مدارس أهل البيت وفي المذهبية وفي الصوفية هو الحق الجلي، وأهله حلة الأمانات الشرعية في كل عصر وزمان، وفي الاعتراف بهم واحترامه كشف حقيقي للمؤامرة التي خطط لها الأبالسة للفت نظر الشعوب الغافلة عن أهل الديانة والأمانة والولاية، ولهذا قَصَدَ الأبالسة التضحية بمدارس الاعتدال كلها وإبراز طرفي الإفراط والتفريط بقيادة المعركة العقدية لتتوي ثمارها المرجوة في الأمة وقد تحقق لهم ما يريدون ورضي عنهم الشيطان كل الرضا ولم ولن يستطيع أحد أن يكشف خطورة ما فعلوا إلا إذا عاد بروية إلى أحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ وهو يتكلم ﷺ عن فقه التحولات وعلامات الساعة وعن موقع مدارس الإفراط والتفريط ومدارس القبض والنقض وعن توسيد الأمر إلى غير أهله، هذا العلم وحده كفيل بكشف المؤامرة الخطيرة.. مؤامرة الشيطان المستثمر، ولكن من الذي يدرس هذا ومن الذي يعيه وقد كشف سره وبرز إلى الواقع أمره بما هبأه الله من رباعية الأركان، وإبراز موقع الركن الرابع وهو فقه التحولات وسنة المواقف.

المجموعات المتنازعة في الساحة لا تتجاوز تفسير من لا ينطق عن الهوى ﷺ عندما نصَّ على غنائية الجميع من خلال وَصَف مراحل التحول أو (مسمى فقه التحولات) وقال: «أنتم يومئذٍ غناء كغناء السيل»^(١) فالصوفيون بما لديهم من مخرجات طريفي الإفراط والتفريط غناء، والسلفيون بما لديهم من قبض ونقض وتسييس وتدنيس غناء، وبقية الأطراف الساكنة والمتحركة غشاء لأنهم أبطال على بعضهم البعض ويغورون ضد بعضهم البعض، ولكنهم يعملون جميعاً وبإخلاص لخدمة المستثمر والمستعمر، ويحققون له الأرباح معاً في سوق العَرَضِ والطَّلَبِ، وخذ لذلك مثلاً:

تنتشر البنوك الربوية الحرام في أقدس بلاد الله تعالى، ويتزاحم العاملون فيها من كل نموذج إسلامي وإعلامي ملتزمين للوقت والخدمة وللأنظمة الداخلية للمصارف الحرام، وإذا ما حضر وقت الصلاة الواجبة خَرَجَ كلهم ليؤدي صلاته مع من يناسبه من المجموعات في المذهب والفكرة، ويحتدم الخلاف حول صحَّة الصلاة وطلانها خَلَفَ الموظف الصوفي وحول سلامة عقيدته ومصيره، وتطول المناقشات والمنافسات في الردهات والغُرَف والمكاتب، ويتبرأ كلٌّ من

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٨/٥) وأحمد في المسند (١٦٥/٦) من حديث ثوبان

وهو حديث صحيح.

الآخر ويقاطعه في الله، ولكن هؤلاء الأغبياء جميعاً لا يلتفتون إطلاقاً في تنفيذ مهمة الوظائف الدنيوية الحرام التي يمارسونها بأسلوب يحترم اللوائح والقوانين الربوية.

لقد صارت خدمة الحرام قاسماً مشتركاً بين المصلين - ويا للعجب - تحقيقاً لما قاله ﷺ: «سأني على الناس زماناً ما من بيت إلا ودخله الربا، ومن لم يدخل إليه دخل إليه غباره»^(١)، كما صارت السياسة المعاصرة في بعض الأنظمة والدول العربية والإسلامية قاسماً مشتركاً بين المتنازعين، فالسياسة تتخذ لنفسها متجهاً معيناً كالديمقراطية بصرف النظر عن سلامة المتجه أو عدم سلامته من الوجهة الشرعية، لكن كافة الجماعات والفئات والأحزاب وحتى الأفراد يجب أن تكون خدمتهم للمرحلة قاسماً مشتركاً من خلال المؤسسات إلا مؤسسة واحدة وهي المساجد، والحوار الديني، فالحوار الديني في المساجد وفي خارجها ليس له حصانة ولا صيانة، وإنما هو محور الصراع وموقع الدمار بين المجموعات كلها. وهل من متأملٍ لأسباب ذلك، وهل من متدبرٍ لخطورة ما وصل إليه المصلون؟ لقد احتار الجميع في الفتن الساحقة الماحقة، ولا زالوا في حيرتهم ولن

(١) أخرجه النسائي في سننه (٢٤٣/٧) وابن ماجه في سننه (٧٦٥/٢) وأحمد في

المسند (٤٩٤/٢).

يخرجوا منها على الإطلاق، إلا بشرط واحد: إعادة دراسة القرآن والسُّنة من خلال فقه التحولات.

لقد اقتشعر جلدي وانزعج خاطري وباطني وظاهري وأنا أشهد بعض المناظرات المعاصرة بين الصوفيين والسلفيين عبر شاشة التلفاز، وكم تمنيت أن لا يقبل صوفي مناظرة سلفي ليس خوفاً من كشف أوراق الصوفية كما يقولون^(١) وإحراجهم بالكفر^(٢)، وإنما لأن كلا الطرفين يدورون في حلقة مفرغة من

(١) جمعنا في هذا الباب الهام مجموعة من الكتب الخاصة طبع أكثرها، منها (الإحاطة والاحتياط فيما أخبر عنه ﷺ من الأشرار) و (بين يدي الدجال) و (كشف الأفتنة عن الوجوه الغثائية المقتنة) و (الزوبعة العاصفة شرح المنظومة الكاشفة) و (السقوف السياسية المنهارة) لم ينشر، و (المسلمون في مجتمعات الذلة بين سياسة الدجل وعبادة العجل) و (التليد والظارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف) و (إحياء لغة الإسلام العالمية) وقد فرغنا أخيراً من (المواجهة السافرة لإدانة طرقي الإفراط والتفريط وتسييسهما بين المصلين في الرحلة المعاصرة) و رسالة (إنقاذ ما يمكن إنقاذه) وهذا الكتاب الذي نحن بصددده، ومن الله العون.

(٢) فالكفر والشرك تهمة مصنعة لا دليل عليها ولا أساس لوجودها في أمة محمد ﷺ، وإنما هي مؤامرة الحلفاء على الخلفاء، وخذمني الدليل الحق إن كنت من أهله، فقد روى ابن أبي شيبه في المصنف برقم ٣٨٩٠٣ حديثاً عن عبد الملك بن أبي سليمان

أساسها قائدها التحريش وليس البحث عن السلامة، والتحريش تحت أي مدلول كان إنما هو مِنْ حَمَلِ الشيطان وأعتقد أنَّ هذه المناظرات هي نوعٌ متطورٌ من عمل الشيطان، ولا فائدة تُرجى منها على الإطلاق في إصلاح الأمة.

إن المعالجة الحقيقية للأمر إنْ كَانَ هناك من يرغب المعالجة وليس الإحراج أن تدرّس علامات الساعة باعتبارها ركنًا مِنْ أركان الدين، بل هي الركن الرابع بنصّ الحديث المعروف، ولا بأس من الالتزام بالصحيح دون غيره، لأن في الصحيح اجتماع الرأي على قاسم مشترك، ومن ثم ترتب القضايا والتحويلات

قال: «سألت أبا جعفر: هل في هذه الأمة كفر؟ قال: لا أعلمه، ولا شرك، قال: قلت: فماذا؟ قال: بغي» ص ٣٥ كتاب الفتن ج ٢١ تحقيق محمد عوامة، ويؤيد ذلك ما روي أن علياً رضي الله عنه سئل عن أهل الجمل، قال: «قيل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا. قيل: منافقوهم. قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا» كتاب الجمل، مصنف ابن أبي شيبة ٣٦٩/٢١.

ويؤيد هذا المعنى حديث رباح بن الحارث قال: «كنت إلى جانب عمار بن ياسر في صفين، وركبتي تمس ركبته، فقال رجل: كفر أهل الشام. فقال عمار: لا تقولوا ذلك نبينا ونبههم واحد، وقبلتنا وقبلتهم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه»، وفي رواية: «... لا تقولوا: كفر أهل الشام، ولكن قولوا: فسقوا ظلموا» رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجمل ٤٠٧/٢١.

المثبوتة على مواقعها من الحياة المعاصرة، هذا فيما يخص الحياة المعاصرة، ويرتب غيرها على ما يناسبها من التاريخ الإسلامي السابق وما يناسبها من التاريخ الإعلامي اللاحق، وبها يُعرف الحق من الباطل، وبها أيضاً تظهر حقائق الإحراج لمن يجب إحراجه، وتظهر سلامة الأولياء والصالحين وحملة الميراث الشرعي لهذا الدين على ثبات وتمكين وتحسن يقين، وبها تُعرف حركة الأصابع الخفية التي تعبت من تحت الأقيية لِنَسْفِ قواعد الديانة على رؤوس المسلمين.

إننا في هذا الصدد لم ننتظر حتى تأتي موافقة أحد بعينه على هذا المطلوب، بل إننا والله الحمد قد دفعنا معركة الحياة ذاتها ونحن نخوضها في مواقع التأثير الإسلامي والإعلامي أن نبحت لنا ولغيرنا عن مخرج، فوجدنا المخرج، وأدرنا المدخل، وعرفنا بحمد الله تعالى وفضله تسلسل الديانة وتسلسل الخيانة، ولا مفر من تجاوزهما معاً ومن غير فكاك ولا انفكاك، فكلا الضدين يعيشان معاً وعلى بساط واحد.

والإنسان المتعصب هو الحامل لفيروس الضدية، وكلٌ ميسر لما خُلِقَ له. وكما جَعَلَ اللهُ لكل عبدٍ مَلَكاً يُلْهِمُهُ خَيْرَ فَعْدٍ جَعَلَ لَهُ قَرِيناً مِنَ الشَّيَاطِينِ يوسوس له بالشر، والعَلَبَةُ لِمَنْ نَهَبَاتُ لَهُ أَسْبَابُ هِمَمَتِهِ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ وهذا هو ما يقرر في ظاهر الشريعة .

وأما ما يقرر في باطنها فالسوابق وما كُتِب في الأزل، وقد قال ﷺ فيها يروي عن ربه في الحديث القدسي: «يا عبادي: أنا خلقتُ الخير والشر، فطوبى لمن جعلته مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لمن جعلته مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير»^(١)، وعلمنا ﷺ أن نقول: «اللهم يا مَنْ وَفَّقَ أَهْلَ الْخَيْرِ لِلْخَيْرِ وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ: وفقنا اللهم للخير وأعنا عليه» وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٨٦/١) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه» وإسناده ضعيف، وله شاهد من حديث سهل أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير» وسنده ضعيف.

العود إلى إيجابيات المدرسة الأبوية ضرورة ملحة

لا شك أن المعركة الفاصلة بين الخير والشر في محيط الأرض تبدأ بمغالبة الهويات والانتفاءات وتنتهي بها، فالانتفاء بمعانيه العامة والخاصة هو محور المنازعة وسبب الاختلاف، وأولها عند الأخذ بمبدأ التدرج الهرمي من الأعلى قضية التوحيد لله، وتجريد التوحيد عن شبهات الشك والشرك، فلا انتفاء في الحقيقة إلا لله، فَمِنْهُ وَإِلَيْهِ كُل شَيْءٌ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

[الأنعام: ١٨].

ويدخل في معنى التوحيد بعد الإيهان بالله ﷻ: الانتفاء للرسالة، ومنها الرسالة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والانتفاء للذات النبوية بالمحبة والاتباع وحسن الاقتداء والاهتداء وأداء الدور الواجب نحو هذا الولاء في الحياة الدنيا.

وتتدرج الولاءات والانتفاءات بعد ذلك إلى انتفاءات وولاءات خاصة في حياة الفرد المسلم كالولاء الشرعي للوالدين والأرحام، وما يتعلق بهما من واجب الصلة وبرّ الأرحام ولو بالسلام، وكذلك يتوسع مفهوم الولاء إلى الجيران والإخوان في الله وما بعد ذلك من حُسن ارتباط وانضباط بين المسلم والمسلم في الحياة الاجتماعية بكافة مؤسساتها وأنماطها الدينية والدنيوية.

وربما كَانَ الولاء العاطفي الشرعي ومدلول الانتفاء من الزَّوْجَة للزَّوْج ومن الزَّوْج للزَّوْجَة نموذج رائع من نماذج الانتفاء المشروع لإقامة المجتمع الصغير ونجاحه في بناء مستقبل المجتمع الكبير بدءاً بالأسرة ونهايةً بالمجتمع كله. والمجتمع كله بمتناقضاته المتعددة يحتاج إلى ضابط ولاء وعاطفة انتفاء وهو ما يتحقق بالقرار ومن يملكه في الواقع ويُمارس مِنْ خلالهِ وظائف الانتفاءات وإنجاح نماذج الولاءات.

وحيثما كان الخلل في ضوابط الانتفاء وشروط الولاء لدى حامل القرار سرى الخلل إلى الواقع ومن فيه، وَتَخَرَّ الفساد والإفساد رعاياه، ويكاد التسلسل الانتثائي للأسرة والقبيلة والمذهب والفكرة والدولة يسيطر على كافة شؤون الحياة الإنسانية والإسلامية، وربما صار مسؤولاً كل المسؤولية عن ظواهر السلوك وثمرات العلاقة بين الشعوب، كما هو ملاحظ ومشاهد.

إذن فما هو الضابط الشرعي العام لهذا الانتفاء والولاء؟ إنه (التدين المشروع)، فَمَنْ لَا دين له على الوجه السليم لَا انتفاء له على الوجه السليم، وَمَنْ انحرف تدينه انحرف ولاؤه وانتهاؤه.

وللمتحرفين انتفاء وولاء من نمط آخر، وهو أساس الانحراف ومادة الانجراف، ولهذا السبب الخطير قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا

وَأَنْتُمْ إِنَّا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فالخلقُ للآدمية كان مسألة التزام بولاء
وارتباط بإداة انتفاء، وعليها مسؤوليات وتنتظرها محاسبات ومسائلات.

والشيطان الإبلسي مخلوقٌ مُتَمَرِّدٌ عَنِ الْوَلَاءِ، وسالبٌ لحقائق الانتفاء،
ويعمل لحساب نشاطه الإبلسي القائم على التمردُ ونقضِ الولاءات ودمار
الانتفاءات، لأنَّ النقيض يحقّق للشيطان موقعاً في السيطرة على الفطرة والإنسان
والأرض، ومتى ما تحقّق النقض للولاء تحقّق القبض في الانتفاء، وحصل
الاحتناك ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

ومع كل نقض وقبضٍ في المجتمعاتِ وأفكارها ودياناتها وعلاقاتها يكون
المستفيد الأكبر من هذا التحول هو الشيطان ذاته، إذ لا يهْمُ الشيطان مَنْ يكون
على قرار القبض والنقض، وإنما يهْمه مَنْ يكونُ أحبولة له لتنفيذ مبدأي النقض
والقبض في المجتمعات والقلوب، أو بمعنى آخر: لا يعتني الشيطان بمسألة
العلم والعمل والأخلاق والنسب والحسب والقيم في حاصل قراره لأنه يعمل
ضدها، إذن فلا يهْمه أيضاً موقع القرار بهذه الشروط لأنها ليست من منهج
حركته، وإنما يعنيه المتمردون عليها القادرون على انتهاك ضوابطها وتقنين ما
يصادها في الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية
والتعليمية والإعلامية الخ... وإن كانوا من أبناء هذه الرؤى والأفكار التقليدية،

فمتى ما نفَّذَ المخلوق الآدمي منهج الشيطان وَعَمِلَ مِنْ خِلالِ موقعه الاجتماعي أو الشرعي أو الفكري على تَبَنِّي سياسة القبض والتقبض والتفريق والتحريش والأنانية وإقصاء الآخر وإثارة العواطف نحو الدمار العاطفي والجنسي والعرقى والحزبي والسياسي والقومي - بعلم أو بغير علم - فهو جنديٌّ مُخْلِصٌ للشيطان؛ وإنْ صُلِيَ وصامَ وَعَبَدَ الله وأَخْلَصَ وقَامَ وابتعدَ عَنِ الشبهة والحرام.

فالالتزام الشرعي بهذه المسائل ضرورة خاصة للسلامة في الدارين لدى الفرد المسلم لا يتخلّى عنه في كافة أحواله، ولكنَّ الشيطان يستفيد من مواقفه ضد خصمه ومنافسه وتوجيه طموحاته ورغباته حتى يوقعه في برنامجهِ العالمي للتحريش، فيصير بذلك عضواً ملتزماً للشيطان في المواقف مع الغير، وملتزماً للرحمن في عباداته وبعض توجهاته ومفاهيمه الخاصة به، وهذا هو الولاء المشطور والانتفاء المشترك المعروف بمبدأ (فَرَّقْ تَسُدْ)، فالتفريق في العقل الواحد بين الانتفاء والولاء لله بالعبادات، وللشيطان ببعض المعاملات يحقق الدمار ويصنع الفتح السلبي للعدوِّ الغرار.

قال ﷺ: ﴿لَعَنَهُ اللهُ ۖ وَقَالَ لَا تَخْذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْبًا مَمْرُوضًا ۖ وَلَا تُلْزِمْنَهُمْ وَلَا تُؤْمِرْهُمْ فَلْيَنْتَكِبْ مَاذَاكَ الْأَنْعَامُ وَلَا تُؤْمِرْهُمْ فَلْيَغَيِّرْكَ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ

خَيْرَ حُسْرَانًا مُيَسِّرًا ۖ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَيُغْنِيهِمْ ۖ وَمَا يَعْهَدُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣٠﴾

[النساء: ١٢٠-١٢١]

والمؤمن رجاءٌ توابٌ يستغفر، والشيطان يعلم ذلك، ويعلم أن المؤمن لا يستمر في الشر ولا يصبر عليه، ولهذا فالبدائل من بني آدم جاهزة ومهيأة كل التهيئة، فمتى ما رجع واحد عن الباطل قام بديلاً عنه عشرة آخرون، وإذا سقط الفكر الإبليسي وانكشف أقام الشيطان عنه بديلاً جاهزاً يؤدي نفس النتيجة والدمار، ولكن بعقيدة وأسلوب علمي آخر، وهكذا...

وأهم ما في الأمر أنه يُعيد صياغة (الانتفاء والولاء) مرة بعد مرة، في كل مرحلة يصل بفكر معين واتجاه محدد، وهكذا...

ألست ترى كيف سقطت ثوابت نظام هنا ونظام هناك، وكيف استطاع أتباع النظام أنفسهم من تغيير جلودهم وتسريحهم مرة أخرى إلى مواقع القرار بلباس جديد وألسنة جديدة، ووقع الكثير في هذا المشروع دون أن يعلم أحد أنه مشروع الشيطان وحلمه الأزلي في الاحتناك، ولا يخرج ولا علاج البتة من هذه الأحبولة المتمرحلة إلا بأمر واحد لا ثاني له: ألا وهو اتهام النفس، والنظر إليها بعين الاحتقار، وعدم استتباعها في ما ترسمه من مواقف وتبهؤات وما تضعه

من شكوكهم وسوء ظن مع المعادل الآخر من الناس حسب مراتبهم الشرعية.

والإتهام للنفس يجب أن يكون ضابطه الشرعي تذكّر مواقف صاحب الرسالة ﷺ الحريص على المخالفة قبل الموافقة، والمتأنى في الأخذ بالجريرة والظن حتى يكون لديه البرهان القاطع لإصدار الأحكام.

وإذا ما اجتمعت البراهين واتَّحدت فهناك أيضاً ضابط شرعي آخر هو احتمال المعاذير للغير، حتى يمكن استجلابه إلى الحقِّ دون إثارة انفعاله وطبعه الذاتي، وخاصةً لنا نحن المسلمون المستظلون بشجرة التوحيد العظمى وأخلاق النبوة المثل.

إنَّ تخليتنا في معركتنا الحياتية عن أخلاق النبوة وإهمالها في مواقع التعليم أدّى إلى انعدامها في الدعوة إلى الله واجتثاث مَنْ بَقِيَ من حمَلَتها في المحيط الاجتماعي لأنها تخالف الطباع والمعهود لدى الناس.

وقد اعتقد قوم لوط أنَّ سلوكهم الشاذ واقع اجتماعي صحيح وأن دعوة نبيهم علة من علل الطهارة والتسامي في الأخلاق، ولهذا وصفهم الله ﷻ بقوله:

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَسَلُوا أَهْلَ الْأُطُورِ مِنْ قَرَبَيْكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ

بَاطِلُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وهل يُعقل أن تكون القيم والآداب والضوابط منبودة عند الإنسان وهي من عند خالقه ورازقه ومكوّنه؟ والقرآن يؤكد حصول ذلك في مجتمعات الغي وتغلب العادات حتى يحكم مجتمع كامل على نبي مرسل بالترحيل والإخراج من وطنه لأنه يدعو إلى السمو في الأخلاق ويعيب الفاحشة في الواقع الموحل.

وإذا كان القياس بين الأمة المرحومة وبين قوم لوط منعداً من أساسه فإن النسبية في قبول الشر والعمل على تحقيقه وتظافر العقلاء من حملة قرار العلم والحكم والثقافة والإعلام والتربية والتعليم في عصرنا على التغافل المتعمد عن الفضائل والقيم التي دعانا إليها الإسلام في تربية الناشئة ومحاوله بترها أو تجاوزها أو إهمال العمل بها؛ إن كل ذلك يؤكد استتباع الأمة المرحومة لأدواء الأمم السابقة ولكن ليس (على المكشوف)، وإنما بأسلوب التدريج والتنسييس والاستغفال والمداراة حتى يتحقق فيهم على المدى ما تحقق في غيرهم من السابقين من الوهن والفساد وعبادة الغرائز والشهوات.

إن صرخة القرآن في المرحلة الإسلامية صرخة مدوية كشفت لشعوب الملة تاريخ الانحرافات وما ترتب عليها من دمار جماعي في العالم الإنساني ولم يعد بعد هذه الصرخة إلا الانتباه والتيقظ لكل من حمل القرآن الشريف وأدرك عظمة الرسالة التي جاء بها سيد الخليفة ﷺ.

والذين حملوا القرآن الشريف وأدركوا عظمة الرسالة مهمتهم في العالم الإنساني ثقيلة ثقل القرآن ذاته، وعليهم مسؤوليات في تطبيقه والعمل به أكثر من مسؤولية حفظه على الألسن وطبعه على المصاحف، ولأنه الحجة الدامغة على الأمم السالفة، فلا مجال لعلو فكر ذاتي أو نهج شرقي أو غربي عليه وعلى أتباعه الصادقين سواء في مسألة الديانة والتدين أو في مسائل العلوم الخاصة بالاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والتعليم والإعلام وتأسيس ثوابت الحضارة.

فالقرآن وما تفرع عنه مرجعية الانطلاق الواعي للتعامل مع كافة شؤون الحياتين، لأنه - أي: القرآن - هو الدستور الناطق لحضارة الحياة المعاصرة، كما أنه الدستور المنظم سلوك الشعوب في علاقتها الأخيرة بالعقائد والمعاملات والجنايات والمواريث والعبادات، وهلم جرا... قال ﷺ: ﴿مَأْرَظُنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ مَّقَامِ﴾ [الأعلام: ٣٨].

لكننا نحن المسلمون - قادة وعلما - فرطنا في كل شيء جاء به القرآن، وضعفت قوا بلنا وقلوبنا أن نصمد بها أمام زوابع الإعلام والأزلام والأفلام والافلام، وارتعدت فرائصنا بعيد الغزو الاستعماري والاستثماري أمام صور الدجل وبهرجة الدجاجة، فاستغنيينا عن القرآن في كافة شؤون الحياة المادية

وحاصرناه وحصرناه في الشؤون التعبدية والعقائدية على صفة من صفات التزاحم والتحدي بيننا داخل خيمة الديانة والتدين.

ولم تستطع المدارس الحزبية ولا الفتوية ولا مواقع القرار الحكومي ولا المؤسسات الشعبية والرسمية وشبه الرسمية أن تفقه عالمية القرآن وعالمية لغته التي يخاطب بها العالم الإنساني بقدر ما فهمت القرآن تلاوة وحفظاً واستدلالاً لفرعيات المسائل الشرعية فظلَّ القرآن يدور في محور الإقليمية والقومية والحزبية والفتوية بدوران حملته الغارقين في دوامة التسييس العالمي.

ولعلمهم يعذرون من حيثيات معينة ومن أهمها كونهم لا يدركون من الأمر غير ما درسوه في محاضن الحياة التعليمية الممنهجة، وما تلقوه من مشايخ التمرحل الفكري وشيوخ الهندسة العلمية في الواقع المؤدلج والمبدلج القهري والقسري.

أما من حيثيات أخرى فلا عذر لهم ولا حجة معهم، والقرآن يهان تطبيقاً ووعياً ويُجاوز تربيةً ودعوةً ومنهجيةً شرعيةً، ويتأمر الأعداء داخل أقبية الواقع المتناقض لنقض عرى القرآن واستبداله بـ(الفرقان الحق) المصنَّع^(١) تحت سمع

(١) الفرقان الحق: تجميع نص كاذب أطلق عليه هذا الاسم ووزع في بعض البلاد،

تبنته بعض الجهات الكافرة وأرادت به الفتنة في الأجيال الإعلامية للأسف.

وبصر الأبالسة المتهالكين في الغي والمال والابتذال، المشغولين عن نصره التنزيل وعن تربية الجيل، بتحقيق مطالب رجال المال والأعمال، في سوق الأسهم وبيوت القمار وغسيل الأموال.

أليست هذه نكبة في عالمنا المعاصر؟ بل، ولكنها لا تقرأ في مخرجات المرحلة، ولا يدرك مداها خبراء الكوارث، حتى من المنسويين للإسلام نفسه، لأن الإسلام قد صار غريباً بين أهله ولم تزل طقوس من الديانة تمارس في الواقع المكدود والقائمون اليوم على قرار الإسلام هم ممن لا يحسنون الحديث عن أنفسهم وتاريخ شعوبهم وعلمائهم وسلسلة أسانيدهم فضلاً عن حديثهم عن الإسلام ومخرجاته في الشعوب، وهم أيضاً لا يبحثون عما يعرفهم ما غاب عنهم أو خفي في سراديب التحول والتمول، وإنما هم يأتون الإعادة والنظر في جذور التاريخ خشية الإفلاس وانكشاف الأوراق، فيما كان وجودهم على هرم التأثير إلا بمساعدة القارئ لتاريخ الأبوة على مراد الشيطان.

وللشيطان قراءات مستجدة تطمس الأبوة وحاملاتها، وتقيم النكير على المتشبهين بالماضي في سكرة الحاضر واندفاعه، وما كان الحاضر بها فيه إلا سلسلة من مؤامرة دُبرّت لبيل لاحتواء القرار وفرض ضرائب الغذاء والهواء والماء مقابل نسبة من عوامل الاستقرار، سميت بادئ ذي بدء بالاستعمار، ثم آلت إلى

الاستهتار، ثم تحول الجميع إلى الاستهتار في كل شيء، وفي مقدمة الاستهتارات: الديانة والتدين، وهي ما عبّر عنه من لا ينطق عن الهوى ﷺ بقوله: «إِذَا وُثِّدَ الأمر إلى غير أهله»^(١).

ولربما استشاط البعض من هذا التعليل لأنه يخالف الواقع المرسوم، وهم قد ملأت آذانهم آيات الشكر والثناء والعرفان من فقهاء القصة الميامين، وقد بذلوا كل جهدهم في منح المصلين حرية العبادة وسلامة الاعتقاد وأمان الحركة دون اعتراض لهم أو عليهم، فلماذا يصير فقهاء التحولات على إخراج الواقع وتشويش العلاقة بين حملة القرار والشعوب؟ ولربما فسر لهم مهندسو المواقع هذه الظاهرة بأنها رغبة منا في إعادة التاريخ لآل البيت أو أنها أحلام اليقظة بامتلاك قرارها أو البحث عنه، أو أن يفسر الموقف في أسوأ الأحوال أنه مجرد فقدان لمصالح محددة تدفع المتجرد عنها أن يقيم التكبر على الواقع ومخرجاته، وهذا ما تعاني منه كافة المواقع للقرار المعاصر، ويرون من وجهة نظر المرحلة أن يعترض المعارض ضمن إطار مشروع حسب مخرجات القانون الذي يكفل الرأي والرأي الآخر أن يطرح ويناقش فيما يسمى بحرية التعبير.

(١) أخرجه البخري في صحيحه (٨٨/١) فتح وأحمد في المسند (٣٦١/٢) من

حديث أبي هريرة.

والحقيقة التي نحن بصدددها لا علاقة لها بهذا الفهم المتداول، ولا علاقة لها بتعليلاته، لأنها لا تناقش أحداً في سلطان ولا في قرار اختلف عليه أو اعترض من أجل امتلاكه، فالقرار حيثما كان وجب علينا السمع والطاعة فيما تجب الطاعة له، والمناصحة فيما تجب فيه المناصحة، والمشاركة فيما تصح فيه المشاركة، ولا يجوز لنا الخروج عن القرار إلا إذا رأينا كفراً بواحاً لنا فيه من الله حجة وبرهان، والخروج عند أهل النمط الأوسط و(بقية السيف وسادة الصلح الواعي) ليس كخروج الآخرين من حملة السلاح وعشاق الشهيق والزفير والصياح، لأن مثل هذا لا يعالج أمراً بقدر ما يؤزم المواقف وإن عالج أمراً في مرحلة ما لا يمكن به استمرار المعالجات وتحقيق المطالب في كل مرحلة وزمن، لأنه مشروع إثارة وتحريش وليس مشروع استقرار وأمان.

ومشروع التحريش مدخل واسع للشيطان في الإنسانية كلها كي يحقق دمارها الموعود، وبأيدي أبنائها المخلصين، وهذا ما تعاني منه الشعوب اليوم ولا زالت في مساراته تدافع أو قل: في مسيراته تتتابع.

والأزمة كلها بيد الشيطان ووكلائه، ولكن هذه اللغة التي نتحدث بها عن هذا الأمر الشائك لا يفهمها أكلة القصعة ولا فقهاؤها ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ﴾^(٥٤) ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُسِذُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۖ﴾^(٥٥) ﴿سَأَعْمِلُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَلْ لَا

يَسْعَوْنَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى
رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٧١﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ وَيَسْتَفِقُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿المؤمنون: ٥٤-٦١﴾.

إقامة الدليل على فساد الأقاويل المتبادلة بين أهل الأباطيل

مهمتنا آل البيت - ونحن إن شاء الله دعاة السلامة والتمط الأوسط وبقية
السيف وسادة الصلح الواعي وسفن النجاة والثقل الأصغر وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بإحسان - أن نؤيد الحق حيثما كان وننفي الباطل وندمغه أينما كان وفي أي وقت
كان، وليس لنا حجة في هذا العمل غير من نلنا منهم هذه الوصوف الإيمانية
العالية بدءاً بالحبیب الأكرم والنبي الأفخم ﷺ، ونهاية بالأئمة الخلفاء الذين
عليهم المعول بعد الله ﷻ في الجهر والخفاء، ومن أخذ عنهم بشروط الاهتداء
والاقتداء، فهذه السلسلة المباركة ذاتها ووحدها هي الحاملة صفة الالتزام
الشرعي بأدب الوراثة، كما التزمت بأدب المعاملة مع من يستحق ومع من لا
يستحق، وهم الأئمة العدول الذين سبقت الإشارة أنهم المعنيون بالحديث
يحمل هذا الدين.

وأما غيرهم من أتباعهم وأشياعهم وبعض المنتمين لهم بالولاء المجرد عن
أدبهم وسلوكهم فلا ننفي عنهم صلة العلاقة ولا ننفي عنهم شرف المحبة؛
ولكننا ننفي عنهم عند تجاوزهم حدود الأدب الشرعي وشرف الاهتداء
الاقتداء بالدعاة المهتدين.

ونحصر الأقاويل الصادرة عنهم باسمنا آل البيت وخوفهم علينا وشوقهم إلينا في دائرة طباعهم وفهومهم وعواطفهم الجياشة بالعداوة المطلقة لغيرنا مقابل حبهم لنا ومدحهم المفرط لنا ومقابل لعنهم وسبهم وشتيمهم في جهة التفريط لغيرنا.

وبهذا يكونون قد عبروا عن ضيق فهمهم وضعف نفسياتهم وهوى ذاتهم ورغبات شهواتهم ولم يعبروا فيما قالوه شططاً عن إمام من أئمة آل البيت ولا عن عالم من علمائهم ولا حتى عن منهجهم الشرعي الذي يدين آل البيت مولاهم به.

وبهذا تقف كافة الفهوم والتفسيرات والتعليلات والتعليقات التي تزخر بها كتب أولئك ومنابرهم ومجالسهم ونشراهم وخلواتهم وما نسبوه من هنا أو من هناك لأئمة آل البيت من باب حسن الظن فيهم وسوء الظن في غيرهم، أو من باب النصرة لهم ولو بالإفك والكذب المدلل على حقيقة ظلم الغير لهم، أو غير ذلك، كل هذا يتحول إلى سوء فهم لدى قوم و(فقه مغالطة) لدى آخرين لا تتجاوز ألسنة وقلوب وعقول قائلها، وهم المسؤولون عنها في الدنيا والآخرة، وهم المسؤولون أيضاً عن الانحرافات التي وقع فيها رعييل من أبناء وأجيال آل البيت الأغرار وأشباههم الذين لا يفهمون من (مدرسة آل البيت) غير الولاء

من الغير والتكرمة لذواتهم والمطالبة بالحقوق المفقودة والمسلوبة عنهم كما تتحدث عنها مدارس الصراع، مع أن ما لهم عند الناس من فروض وعروض، ربما لا تتجاوز عند النظر فيها بعمق مسألة النفوس والأهواء وما يستغله البعض أو التباهي والفخر والعظمة والزهو والكبرياء والخطوط الدنيوية وإشعال لنار الصراع بين الفريقين المتنازعين ولا غير ذلك.

إننا لسنا في موقف المدافعين عن القتلة والفجرة والظلمة الذين تنكئ ألسنة المتحذلقين من سائر المجموعات على إدانتهم ولعنهم وشتمهم باعتبار ظلمهم لآل البيت قديماً أو حديثاً، فتلك مسألة قد تجاوزت حدها ولم تعد مشمرة البيان ولا الاستبيان، وتبدأ بالعاطفة وتنتهي بالعاصفة ولا جديد أبداً.

نحن في حاجة إلى صرف نظرنا عن الركام المتداول والمتبادل إلى النظر في سلوك القوم ودقائق مواقفهم، فالمنطلق الذي انطلقوه منذ عهد الرسالة بما فيه من تناقض واختلاف رأي كان منطلق الأخلاق لا منطلق انعدامها، وأما الذين يدافعون عنهم بحُبٍّ أو تسييس فهم منطلقون من بواعث وظروف جَرَّت في وعاء الزمان والمكان، وشتان بين الحاليين والموقفين.

شتان بيننا يصفه الأشيع والأقناع عن علاقة الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه بالخليفة الأول أبي بكر الصديق، وعما يصفه الإمام علي رضي الله عنه ويتحدث به.

ففي البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «لما برز أبو بكر الصديق إلى (ذي القلصة) واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أُخذ: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً» فَرَجَعَ رضي الله عنه.

فلو كان علي رضي الله عنه - على ما يقول أهل الأصيل والأقويل - لم يشرح صدره لأبي بكر ورآه ناهباً الخلافة عنه لما نصحه بالبقاء في المدينة، بل ربما شجعه على الخروج لعله يستريح منه ويصفو له الجو، ولكن أعاده الله من ذلك، فالإمام علي أكبر من مثل هذا التصور، وإنما هذا جرى بأقناع التنيس والتدليس الذين يتآمرون من داخل أقبية الحكم أو من فوق منابر العلم لأنهم ليسوا خلفاء، وإنما هم أقرب إلى الخلفاء على أمر مراد.

وفي سقيفة بني ساعدة لم يكن في خلد أحد من المهاجرين والأنصار ما يدور اليوم وقبل اليوم من التعليقات والتصورات التي بناها ركام الوعي المتأمر حتى جعلوا السقيفة صورة من صور الخيانة ونكت العهود.

ولعل الصورة في ذاتها عشية وفاته ﷺ هي أنصح بكثير من الركام السوداوي الذي تنهدج به ألفاظ الحريصين على أهل البيت وموقعهم من السلطان، فآل البيت منذ اللحظة الأولى وهم جزء من القرار والاستقرار سواء كانوا في قمة الحكم أو في رعايا المعرفة والعلم..

وهذا هو رأي الشرع، وأما رغبة الطبع فلا بد أن تعالج بأمر وآخر، وعلاجها عند سفن النجاة غير علاجها عند أقماع الغرق، وأقماع الغرق مضطرون إلى تبرير الشر ودعم مواقفه لأنه منهج حياتهم، أما سفن النجاة فهم ينظرون إلى الأمور من وجهة نظر الإسلام ذاته، ويثقون بما نص عليه القرآن والسنة من توثيق الرجال وثباتهم، وأن الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة لن يستعصوا عن البيعة ورضا الله بالسلطان والحكم لمجرد المنافسة والمغالبة، وإنما هذا يكون في غيرهم من حملة الأقلام والأفلام والأزلام من عبدة العاطفة المجردة عن الأدب الشرعي والسلوك النبوي المرعي.

إن آل البيت هم الأمناء على النصوص وأمناء على المواقف، وبمواقفهم وأمانتهم حفظ الإسلام على عهد الخلافة الراشدة كلها، ولولا وقوف آل البيت إلى جانب الخلافة الراشدة لكان الأمر على غير ما سار واستقر.

وبتنازل الحسن وهو مثال آل البيت انتهى دور الخلافة الشرعي وبدأ ما سبّاه النبي ﷺ به (الملك العضوض).

وكأني بالمعنى المفهوم من هذا التحديد الشرعي قائماً إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ويؤيد هذا المعنى ما قاله الإمام الحسن في خطبته التي قالها عشية تنازله عن القرار: «إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا».

ففضيلة حقن الدماء على يد رجل الخلافة المنصوص عليها مسألة ذات أهمية، ولا يقل أهمية عنها موقف الحسين رضي الله عنه عندما أقام الحجة على المحبين والمبغضين فخرَجَ لتحقيق ما يُصلح الله به الأمة ويجمع به الكلمة ويدك به الفتنة، فقتل شهيداً بين نخاذل المحبين وبغي الباغين، فكان درساً واعياً لمدرسة الصلح وبقية السيف.. فهل من مذكر؟

إن الضيق الطبيعي الغالب على النفوس يأبى قبول الحق من أصله، ويبرر الموقف الناتج عن هذا الضيق بما يناسبه من التبريرات، والتبريرات لا علاقة لها بالحقيقة المرجوة والمطلوبة من أمر تفسير الأحوال والمواقف، والأحوال

والمواقف من وجهة نظر أئمة آل البيت لا ترتبط بالأحداث ومخرجاتها، ولا بالرأي الشخصي للفرد ذاته، وإنما ترتبط بالمواقف الأدبية الشرعية التي تليق بالأئمة والأتباع، واللياقة الأدبية ليست تنازلاً ولا رضاً بالظلم وسكوتاً عنه، وإنما هي سمو وشرف وحسن اعتداء واقتداء لما يحفظ شرف بيضة الإسلام.

وقد فعل ذلك أئمة آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم، وأداروا المجتمع الأول وساهموا في تثبيته مع أن قرار الحكم كان مع غيرهم، بل صارت مواقفهم حجة يرجع إليها أئمة آل البيت أنفسهم، وهذا كتاب نهج البلاغة (ص ٣٦٦/ ٣٣٧ ط). بيروت تحقيق صبحي الصالح يروي مقولة الإمام علي رضي الله عنه عندما تعينت خلافته بعد مقتل عثمان رضي الله عنه «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يزد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»، وقال أيضاً رضي الله عنه: «إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم»^(١).

(١) ناسخ التواريخ، الجزء ٣.

إذن فالموقف الناشئ لدى العديد من المتقولين على الخلافة موقف طبيعي ذاتي لا علاقة له بالاعتداء والاهتداء المقتبس من موقف الإمام علي وآل بيته، وأما الإمام علي فقد كان شجاعاً مع نفسه ومع غيره وتحمل مسؤولياته المناطة به في خدمة الأمة والخلافة دون تردد ولا جبانة، بل قام بالنيابة للخلافة على عهد الخليفة الثاني عدة مرات.

١- أنابه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المدينة سنة ١٤ هـ عندما أراد غزو العراق بنفسه.

٢- أنابه أيضاً رضي الله عنه سنة ١٥ هـ عند شخوصه لقتال الروم.

٣- أنابه أيضاً رضي الله عنه سنة ١٥ هـ عند خروجه إلى أيله.

٤- أنابه رضي الله عنه سنة ١٧ هـ لما استمد أهل الشام عمر رضي الله عنه على أهل فلسطين، فشخص عمر رضي الله عنه إلى الشام وكان عليّ رضي الله عنه هو المستخلف على المدينة.

وهذه الاستدلالات التي نوثقها هنا لا نريد بها كبح جماح المحبين أو إسكات أصواتهم فيها هم مصرون عليه وذاهبون إليه، وإنما نحن بصدد تثبيت موقف الأئمة أنفسهم وهم قدوة المحبين وغير المحبين، لإقامة حجة العدل الشرعي الذي كانوا عليه من جهة، ولإبراز مواقع الإفراط لدى أشباهنا وأمثالنا

من أخذت بهم وقائع الأحداث نحو الجنوح بعيداً عن التوسط والاعتدال في الحكم وتقرير المواقف، وأبرزت مواقع التفريط التي وقع فيها أقصاع الفتن من المبغضين آل البيت ممن تفجرت الأوضاع على أيديهم باسم الديانة والتدين.

فالخلاص من طرف الإفراط والتفريط مكسب عظيم وإعادة حقيقة للنموذج الأمثل ولكن الشيطان لا يروق له هذا الموقف ولا يتبناه، بل يتبنى طرفي الإفراط والتفريط في كل عصر ومرحلة ليحقق بها غرض القاعدة القائلة: «لكل فعل ردّة فعل»، وهذه قاعدة مادية بحتة لا علاقة لها بالأخلاق والقيم، ومع هذا وذاك فهي أصل من أصول الحركة في الحياة العامة والخاصة، ولكننا هنا نقرر موقف رجال الصفوة الأبرار لا موقف الانفعال الناتج عن الحوادث وتقلبات الليل والنهار.

لقد صار من الضرورة بمكان أن نأخذ على يد الظالم فنمنعه من ظلمه ونحجزه عن الشر الذي يوقعه في سوء أعماله وتصوراته ونعيده إلى موقف الحق وشرف الالتزام به حيث تتحقق النصرة المرجوة وتبرز المعاني المجلوة من قوله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قالوا: يا رسول الله: هذا نصره مظلوماً،

فكيف نصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه^(١)، فالمحبون الذين أفرطوا في الحب حتى خرج أمرهم عن دائرة السيطرة على العواطف يجب أن يكبحوا جماع الحب الطبيعي ليعود إلى مقاييس الشرع، والمبغضون الذين فرطوا في زمام التعلق والحب يجب عليهم أن يستمسكوا بحبل الله المتين فيخففوا عن أنفسهم وطأة البغضاء والحسد لعباده الصالحين ليسلموا بالشرع ذاته من سوء الظن في تفسير الحوادث ومجريات الأحوال، والرابع من كل وجوه ذلك العائد إلى الله من سوء تصوره مهما كلف الأمر وكانت النتيجة.

فالخلفاء الراشدون قد رأوا مواقف المفرطين لما رأوا منهم الاندفاع المقيت، وعلموا أن الباعث لمواقفهم القتالية مجرد النفوس وحب السلطة والأنانية وكانت هذه المواقف القتالية مدعومة بفهمهم المستنبطة من النصوص الشرعية ضد حملة قرار الخلافة المشروعة من عند الله وبإجماع الأمة، وكان هذا التقدير لدى الخلفاء قائماً على تفويت الفرصة التي أراد الشيطان بها هلاك الفريقين معاً، فآثروا سلامة الفريقين من الهلاك وتجاوزوا عقدة الامتلاك لمن لا يرعوي عن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٤/٥) فتح والترمذي في السنن (٣٥٦/٣) وأحمد في المسند (٩٩/٣) من حديث أنس بن مالك وأخرجه مسلم في صحيحه (٤٣٠/٢) والدارمي في الجامع (٤٠١/٢) من حديث جابر.

إسالة الدماء في سبيلها فيتركوا لهم قيادة الدنيا وسلطان الحكم، ونظروا إلى ما عند الله ﷻ وحافظوا على سلطان العلم والتربية وبناء الأحوال والصفات الشرعية وهم على أنباط:

١- نمط أقام مبدأ الشورى وحفظ سلامة انتقال القرار من مرحلة النبوة إلى مرحلة الخلافة على الوجه الشرعي المدعوم بالنص: «الخلافة ثلاثون عاماً»^(١).

٢- نمط جدير بالخلافة والحكم منذ بداية الأمر، ولكنها بأمر الله، صُرِّفت إلى غيره فكان وزيراً ومستشاراً ومساعداً ناصحاً كالإمام علي رضي الله عنه.

٣- نمط الحامل لواء الخلافة والمتربع على عرشها بالإجماع، ولكنه تنازل عن القرار طلباً للاستقرار وسلامة الاستمرار، وأيده النص الشرعي في موقفه كالإمام الحسن.

(١) ورد الحديث بلفظ: «ثلاثون خلافة ونبوة، وثلاثون خلافة وملك، وثلاثون

نَجَب، ولا خير فيها وراء ذلك» حديث رقم ٣٠٩٠٤، كنز العمال: ١١/ ١٢٩ .

٤- نمط المخاطر بالذات لإقامة منهج الخلافة بعد تحمله أعباء بيعة
الآلاف من المسلمين مع اختلاف الزمان والمكان، فكان الاستشهاد
كالإمام الحسين.

وفي كل نمط من هذه الأنماط مدرسة إسلامية عظمى ترتبط بالمرحلة
ومجرياتها وتبرز سلامة اتخاذ القرار المتخذ من الخليفة الموفق، ويبرز مقابل هذا
موقف أهل التحريش المعتقدين نجاح خططهم بتنازل الرجال عن مقاماتهم
وانتصارهم بامتلاك القرار وخروجه من آل البيت الأطهار، وبرضا موقف من
إمامهم الحسن رضي الله عنه.

وموقف الإمام الحسن كمثال اجتمعت فيه شروط السلامة مع القدرة على
استخدام القرار وعدم التفريط فيه لا يعني انتقال الخلافة إلى الجهة الأخرى،
وإنما يعني انقسام القرار إلى قسمين:

القسم الأول: بقاء الخلافة المنصوص عليها في الإمام الحسن ومدرسته
المسماة بمدرسة النبوة، فهو الخليفة الخامس بنص الحديث: «الخلافة ثلاثون
عاماً».

القسم الثاني: انتقال قرار الحكم والسلطان إلى الجهة الأخرى كمنخرج من
مخارج السلامة للأمة وليست لجدارة الأخذين لها، بل هو ما سماه الرسول ﷺ

بالصلح، «...وسيصالح الله به بين فئتين من المسلمين»^(١)، والصلح هو وسيلة للخروج من الأزمة وتغادياً لآثارها ومخرجاتها السلبية.

فانقسم القرار الإسلامي منذ تلك اللحظة إلى: قرار حكم منعهم الشروط الكاملة بيد الطامعين في القرار بناء على صلح مشروع، وقرار علم بيد الخلفاء الراشدين المهديين.

ومن هذا المنطلق الشرعي تحولت الخلافة من مدلولها السياسي إلى المدلول العلمي الأبوي الذي استندت عليه مدرسة السلامة كأول تحول في مجرى القرار المشروع، وصار النص يلزم الأمة بالتمسك شرعاً بمواقف الخلفاء الراشدين المهديين، وهم حملة قرار السند الأبوي المتصل بالإمام الحسن ومن في دائرته من الموالين له: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(٢).

وانتهت الخلافة المنصوصة شرعاً بتوقيع الإمام الحسن التنازل من حيث القرار وبقي القرار يحمل مسمى شرعياً جديداً هو (المُلك العضوض)، وتبدأ مرحلة الملك العضوض بتوقيع الطرف الآخر على قرار التنازل وموافقته على حمل مسؤولية الحكم في الأمة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

كما ألزم هذا النص كافة الشعوب إلى الالتزام بالثواب والسمع والطاعة لحامل قرار الحكم وإن كان مُلكاً عضواً، والاتباع والاقتداء والاهتداء لحامل قرار العلم ومن ارتبط بسلسلة أسانيدهم الموقفة، فقرار الحكم غطاء مرحلي ﴿إِنِ اتَّخَذَتِ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] أما قرار العلم فثابت شرعي مستديم ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِذْ هَمَزُوا لِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَا أَنْ نُنْزِلَكَ بِاللَّهِ مِنْ قَبْلِ﴾ [يوسف: ٢٨]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأما السُّبُل فهي ما خرج عن دائرة الإسناد العلمي المشروع أو ما ارتبط بقرار الملك العضوض ليغير سنن الحق في أهله أو في الأمة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَسْوَءَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والملك العضوض مرحلة طويلة المدى بدأت بتنازل الإمام الحسن وانتهت بزوال الدولة العباسية، ولكنها رغم كونها مُلكاً عضواً في القرار فهي في محيط الشعوب تملك نسبة من السلامة وعوامل الاستقرار بخلفاء الهدى والرشد الذين لا يخلو منهم المجتمع، ولا يتخلل عنهم الصالحون المختبون.

فصراطهم مستقيم ومعلوم، ولغيرهم في الواقع سبيلٌ أخرى متشعبة ومتفرقة وتستقطب الكثير من الناس ما بين منتفع ومندفع وغافل وجاهل ومبتلى ومستحوذ عليه.

إن علاقتنا بمرحلة الملك العضوض من حيث القرار ترتبط بالنصوص التي عينها رسول الله ﷺ في تحديده للفتن ورؤاها، أما من حيث قراءة الواقع كما هو فالمرحلة لم تخرج من دائرة فئة من المسلمين في قرارها العام، وخاصة أنها في نواح كثيرة أسهمت في بناء بعض مقومات العلم والمعرفة والحضارة، وكان لبعض رموزها إسهامات وبصمات حسنة في خدمة المجموع من الأمة والرعايا، ولبعضهم في علاقتهم الذاتية الظاهرة استقامة وعبادة ومحافظة على العبادات وشريف العادات .

والسوابق الأزلية في النجاة يوم القيامة لا تقف عند مسألة الاختلاف على القرار ولا على من يعمل لمجرد التنمية والاستقرار، وإنما النجاة مكفولة لمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والأمر كله بيد الله، فمن أراد له النجاة ولو كان في أتون الكفر والإلحاد نجا، ومن أراد له النار والعياذ بالله كبا ولو كان من أبناء الرسل الأطهار، وما نحن فيها ذهبنإ إليه إلا راغبين في نشر

مبدأ السلامة من حيث علمنا، ونسأل الله أن يرزقنا العفو والعافية والمعافاة
الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

النمط الأوسط بريء كل البراءة من تبعات الاحداث التاريخية المسيسة

إن قراءة التاريخ الإسلامي بعين الفقه الشرعي القائم على النص الموروث من فقه التحولات عن النمط الأوسط وما عبروا عنه في صحيح مقولاتهم خلال سير الأحداث وتقلباتها يؤكد بيقين أن كافة الانفعالات التي فجرت مواقف الصراع الطائفي والسياسي والقبلي وغيرها محصورة في مجموعتين متناقضتين في التصور والاستنتاج، وهما -أي: هاتان الطائفتان- المسؤولتان في كل الأحوال مسؤولية مباشرة عن الانهيارات والدماء والحروب.

وكان مبتدأ نشاط هاتين المجموعتين في العالم الإسلامي بعد مقتل سيدنا عمر رضي الله عنه، وقد سباه رسول الله ﷺ: (غلق الفتنة)، و(الباب الذي يُكسر)^(١).

وقد فُتح باب التفريط منذ أن تأمر الأعداء المجتمعون سرا على قتل سيدنا عمر، وكانت تلك أول مؤامرة في تاريخ الاسلام من أعدائه التاريخيين، ولما تولى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٩/٦ فتح) ومسلم في صحيحه (٧٢/١) وابن ماجه في السنن (١٣٠٥/٢) وأحمد في المسند (٤٠٥/٥) من حديث حذيفة بن البيان.

سيدنا عثمان رضي الله عنه وانتشرت في الأمصار أمراؤه وأتباعه كان الأمر بادئ ذي بدء على ما يرام حتى برزت بعض البطانات التي سلكت بالأمر مسلك التسييس في التفريط دون علم الخليفة ودون رضاه، ومن خلال الأحداث الجارية في أخريات المرحلة بدأ الفريق الحامل لطرف الإفراط يبرز في محيط الحكم دون علم حامل القرار، كما بدأ الفريق الحامل لطرف التفريط ينشأ في الواقع المتناقض، ويجمع خيوط الانطلاق وأسباب الاتساع، حتى بلغ الأمر متناه في اجتماع أصحاب الثورة ضد القرار ومشتبهاته، وتفاقم الأمر دون روية ولا تراث حتى انفجر الموقف بقتل عثمان رضي الله عنه في ظروف عصبية وغريبة رغم وجود كبار الصحابة والتابعين... وكانت هذه هي المؤامرة الثانية في ضرب قرار القرآن والإسلام وإضعاف موقعه الهام تاريخياً؛ ولكنها في هذه المرة على يد (المنافقين والأعراب) من داخل الخيمة الإسلامية ذاتها.

وتميزت هذه المرحلة بأمور منها:

١. سقوط القرار الإسلامي بشبهات التآمر بين طرفي الإفراط والتفريط بعد تمادي الفتنة بينها.
٢. اختلاف الصحابة بعد ذلك في مفهوم القرار واستحقاقه.

٣. تغلغل التسييس الدجالي الهالك في مجموعات الحركة والتأثير من المنافقين ولغيف الأعراب، حتى صار صوتهم مؤثراً في الواقع ومرجعاً للمواقف سلباً وإيجاباً.

وانتقل هذا الموقف إلى المرحلة اللاحقة بعُجْرِهِ وُبُجْرِهِ، وهي مرحلة البيعة للإمام علي رضي الله عنه، وكانت مرحلة تمخّر بالتسييس الدجالي من كافة الأشكال والمجموعات ما عدا رجال النمط الأوسط، وفي مقدمتهم الإمام علي كرم الله وجهه.

ولم يسلم من هذا الخطب والخلط إلا من حفظهم الله بالحصانة الشرعية، وهم الصحابة رضي الله عنهم: خاصة من الذين رغبوا في تحجيم موقف أهل الإفراط والتفريط.. الذين اشتركوا في نقض قرار المرحلة السابقة.

وكان الموقف محتديماً والانفجار منتظراً.. ولهذا سعى فريق الإفراط والتفريط إلى الدفع بالأمر كي تخدم التوجّه الدجاليّ المنتصر، وهو إشارة الفتنة والوقية بين القوم في غفلة من الأمور واختلاط المواقف.

واشتعلت الحرب في ظروف غامضة عند العقلاء وحَمَلَة القرار؛ ولكنها عند الفريق الآخر كانت موقوتة ومناسبة ومؤدية غرضها الدجاليّ الكبير.. وذهب فيها من ذهب وسَلِمَ مَنْ سَلِمَ.

وقد امتازت مدارس الإفراط والتفريط عن مدارس السلامة المتمية إلى النمط الأوسط بما يلي:

١. الرغبة في الوصول إلى الحكم ولو على سبيل الخداع والكذب والتزوير.
 ٢. الجرأة على القتل والانتقام وافتعال المواقف المفضية إلى الفتن والحروب.
 ٣. الجرأة في الفتوى بما يصم المخالف ولو بالكفر.
 ٤. تحريف النصوص وإعطائها مدلولاً مناسباً لموقف الإفراط أو التفريط.
 ٥. العمل المضاد بعناد وتصميم وعدم تنازل أو مهادنة في سبيل الامتلاك والسيطرة.
 ٦. تعميم فكرة الثأر للمقتول ولو على حساب التاريخ.
 ٧. سوء الظن في الأمة عموماً وفي الصالحين خصوصاً، والشك المتعمد في كل موقف وتصرف، وتفسير الوقائع والأحداث بما تمليه التصورات النفسية الحاقدة والحاسدة، تحت مبررات التمهيص والتحقيق والقلبي على الدين والعقيدة وشرف الإسلام.
- كما امتازت مدارس النمط الأوسط بما يلي:

١. عدم الاشتغال بقضية الحكم والقرار إذا طرأ الاختلاف عليها والتنازع إلا من باب النصح والإصلاح.
٢. انعدام الجرأة على المشاركة في القتل أو الانتقام إلا دفاعاً عن النفس عند الضرورة.
٣. عدم التصدير للفتوى وصرفها إلى الغير.
٤. تقديس النصوص الشرعية وعدم مخالفتها والالتزام بما ورد فيها رغبة في حصول السلامة.
٥. العمل على تهدئة الأوضاع وجمع الكلمة ولو بالتنازل عن الحقوق الخاصة لإقامة الحقوق العامة والاعتداع على ما عند الله من الأجر والثواب في الآخرة.
٦. عدم الدعوة إلى الأخذ بشأر مقتولهم إلا بإقامة شرع الله في القاتل وحده دون غيره، بحيث لا ينسحب الثار على من والى القاتل بنسبة أو صفة عامة؛ لقوله تعالى: (ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى) إلا إذا كان شريكاً له في الفعل والاعتداء المباشر.

٧. الاستعاضة في ظروف الفتن والإثارة بنشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والسمع والطاعة ولو تولى الأمر عبد حبشي - كما ورد في الحديث^(١) - مع المناصحة للحاكم والمحكوم.

وعند التأمل الواعي في مبادئ الفريقين نتعرف على موقع الشيطان من مبادئ الإفراط والتفريط.. تلك المبادئ التي وصفها رسول الله ﷺ بـ(التحريش)، وهي سياسة العمل العالمي في الشعوب: (فرق تسد)، وقال عنها في الحديث الصحيح: «إن الشيطان أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب؛ ولكن في التحريش بينهم»^(٢).

٨. حسن الظن بالأمة عموماً وبالصالحين خصوصاً، وإشاعة هذا المبدأ في التربية والتعليم والعلاقات، وتحديد مفهوم سوء الظن بما يناسبه من شروط الأخذ بالحيلة والحذر، دون الإثارة والفتنة والتشهير وإصدار الأحكام المعلنة ضد الآخرين.

(١) تقدم تخريج الحديث عن العرياض بن سارية.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٦/٢) والترمذي في السنن (٢٢٢/٣) وأحمد في

المسند (٣٨٤/٣) من حديث جابر.

فالقاسم المشترك بين (الدجاجة والدجال) في العالم هو نشر سياسة التحريش والعيش عليها ومن أجلها، وهي السياسة التي يجارها الإسلام ولا يتبناها ولا يدعو إليها، بل هي كما عبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم: (دعوها فإنها مُتَنَتَة)، ويضع الإسلام بديلاً عنها وعلاجاً لها: الحكمة والموعظة الحسنة، وإشاعة السلام وإزالة آثار الحقد والانتقام، والعيش في الحياة الدنيا بسلام، لاستحقاق الفاعل لذلك يوم القيامة دار السلام.

إن النمط الاوسط من رجال السلامة يرسمون مبادئ السلام والرحمة والمحبة ولو كانوا مظلومين في عالم الحياة، ليموتوا على الإسلام والديانة، ويتصروا لحقوقهم المسلوقة بين يدي الله، وخصوصاً إذا كان الظالمون في جنسهم وعقيدتهم من الذين يستدلون على الظلم بما يمرض الشعوب ضد أهل السلامة بتحريف المعاني والنصوص، ويركبوها شططاً ويغونها عوجاً، والإسلام الخفيف يرسم السلامة في الدنيا بالصبر والتحمل والعفو والصفح بين المسلمين، ويعد الرضى وأعلى الجنان يوم الدين على ذلك ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

إن تقديرنا العالي لنمط السلامة في تاريخنا الإسلامي سيسهم في كل الأحوال على ترسيخ حسن الاقتداء والاهتداء والسير بهم على طريق

السلامة في الأمة، كما أن إدانتنا الواعية لنمط الإفراط والتفريط سيجفف منابعهم، ويخفف حدة التوتر لدى المغرر بهم، والمستغلين خلفهم بجاءٍ أو طموحٍ أو عقدةٍ أو مصلحةٍ أو جهلٍ مُركَّبٍ أو غير ذلك.

إننا هنا في شأن تحييد قضايا المسلمين عن قضايا أعدائهم التاريخيين، أملاً في التمييز بين المهدفين؛ لسد ثغرات التحريش والفتن في الجسد الإسلامي الواحد، فالتحريش بين المسلمين كَلَفَهُمُ العداوة والبغضاء فيما بينهم، كما كلفهم الاستناد والاعتماد على الكافرين؛ لما هم من علاقةٍ وطيدةٍ بسياسة التحريش ومساندة القائمين بها في العالم الإنساني والعالم الإسلامي.

وهذا هو الفشل بعينه.. وهذا هو سرّ نجاح اليهود والنصارى والدول المعادية، إما ظاهراً وإما باطنياً.. فالجميع من أولئك يعمل على زيادة الاشتباك والتناقض والتحريش بين المسلمين من خلال تعقيد القضايا بينهم، وزيادة التخذيّل، والوصاية على شؤون الأمة سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وثقافياً.. إلخ .

وهذا ما تكرّس اليوم في مراحل العلمانية والعلمنة والعولمة، ولم يعد الخلاص في الأمة ممكناً إلا بتدخلٍ ربانيٍّ وآيةٍ رحمانيةٍ عظمى.

والتدخل الرباني ليس بعيداً في شأن نُصرة عباده؛ ولكنها بشروط نصرة الله، وأول شروط نصرة الله اجتماع كلمة المصلِّين ولو على بعض القواسم المشتركة إن لم يتحقق الاجتماع على كل شيء، وهذا لا يتحقق أيضاً إلا بالتجرد عن مداخلات الثقافة الإعلامية التي بُنيت عليها الجسوم، وتَصَلَّبَتْ من داخلها الفهوم.

فالثقافة الإعلامية المعاصرة منذ نجاح مؤثرات طر في الإفراط والتفريط في المسلمين قراراً وشعوباً بعيداً الحروب الكونية وشمول آثار الفكر الاستعماري وما تلاه من ثقافة الاستهتار والاستثمار قد عَمِلَتْ على تحويل العقول والقلوب والنفوس بالتدرُّج نحو التحريش والإثارة وحب الانتقام والهتك والفتك والتشفي الطَّبْعِي، بعيداً عن الأثر الشرعي في المعاملة والمقاضاة ونيل الحقوق، مع العلم أن التحريش والإثارة الطارئة على المسلمين في مرحلة الغناء مختلفة كُلُّ الاختلاف عن التحريش والإثارة التي كانت في مراحل صدر الاسلام، سواءً كان في الدوافع وشروطها، أو في آثار التحريش وثمراته ونتائجه.

فالتحريض في تلك المراحل كان محصوراً داخل الخيمة الاسلامية، وغير مستثمر لدى الأعداء التاريخيين، أما التحريض القائم في مرحلة الغشاء فيمتاز بأمور:

١. أن العالم الغربي والعدو التاريخي قد بذل جهداً جهيداً في دراسة أسباب التحريض وعوامله وجذوره ومنطلقاته بواسطة الاستشراق، ثم سَيَّسَ هذا التحريض، وأنزله في معركة الاستعمار أحد وسائل النقص للموروثات على يد المتنفذين من المسلمين، إما بعجز الأجيال عن دراسة التربية الإسلامية وحقائقها، أو بالبدائل التوليفية المسيسة وتناقضاتها، أو بهما جميعاً.

٢. أن المتنفذين من القادة والعلماء في مرحلة الغشاء قد شاركوا العدو بعلم أو بغير علم على النفاذ إلى داخل الخيمة الإسلامية، والمشاركة المباشرة في هندسة الثقافة والتربية والإعلام والاقتصاد إلخ.. ودافعوا عن مفهوم صداقته وشراسته حتى استمكن منهم جميعاً وسيطر على مواقع النفوذ والتأثير الفكري والتعليمي والشرعي، كما سيطر من قبل على مواقع التأثير السياسي والاقتصادي والإعلامي.

٣. أن كافة الانهيارات الاجتماعية والفشل الاقتصادي والهزائم العسكرية التي منيت بها الأمة في معاركها المتنوعة خلال مرحلة الغشاء كان

أساسها - ويسببها - اختراق العدو الكافر لمواقع القرار والحكم،
ومشاركة الدجاجة النفعيين لهذه النكبات المتلاحقة حتى اليوم، ولا
زالت مسيرة المسخ الدجالي مستمرة ومتطورة إلى أن يقضي الله أمراً كان
مفعولاً، وخاصة فيما يتعلق بالمسألة الاعتقادية والمسألة الاقتصادية،
فهما محور البداية وهما أيضاً محور النهاية في تفعيل الصراع بين الشعوب
المسلمة.

يا عباد الله: اثبتوا...

هكذا صرّخ رسول الله ﷺ ساعة حديثه عن الدّجال، وهو يصور حركته في العالم الإنساني آخر الزمان فقال عنه: إنه يعيث هنا ويعيث هناك، ويضطر الرجل أن يقيد أهله ونساءه بالحبال خوفاً من لحاقهم بالدجال، وأن أكثر من يتبعه - أي: يقوم بدعوته ويؤمن بها - اليهود والنساء.

ولعل العقل المعاصر لا يفهم من هذا التحذير غير ما سيكون في المستقبل إن كان مؤمناً، أو السخرية والاستهزاء إن كان منكراً مكذباً، والحيرة والاستغراب إن كان متذبذباً متشككاً، والحقيقة التي يجب فك عقدها للجميع أن الخطورة لا تكمن في بروز الدجال كذات ومرحلة، وهكذا قال عليه الصلاة والسلام: «لست أخشى عليكم الدّجال»، وإنما الخطورة في العمايات المتنوعة - «ولكن أخشى عليكم علماء الفتنة» - التي تمهد لمرحلة ظهور الدجال وخروجه على مركبة من نوع جديد ليقص شريط النجاح في دولته الإلكترونية المقتنة، وحينها يستقبله الجميع من غير تفصيل ولا تنوع لتبارك الخطوات الشيطانية التي وضعت بصمات الدجل على الحياة الاجتماعية المعاصرة.

إن المرحلة الدجالية الأخيرة تتضاءل فيها قضية الديانة (في خفة من الدين) وتصبح الحياة العامة للمسلمين تقبل الانحراف وتربي أبنائها عليه وتدافع عنه وعن مخرجاته، ليس لأنه انجراف صريح، ولكن لأن الجميع هكذا يعيشون. ومهمة (علماء الفتنة) من كل نموذج وفن وتخصص تمهيد العقل الإنساني والإسلامي والإعلامي لقبول الدجل المنكوس وتقييل أيادي الدجاجلة الذين هيؤوا فرص الحياة المستقرة بالحرام والإفك والخيانة.

وإذا كان الحرام في قاموسنا حراماً فإنه في قاموس مرحلة الدجل مجرد تسهيلات وخدمات ومصالح مشتركة، وإذا كان الإفك في قاموسنا كذباً وافتراءً فإنه في قاموس الدجاجلة توجيّه معنوي وثقافة وطنية، وإذا كانت الخيانة في قاموسنا كمسلمين نفاقاً وجنوحاً فإنها في قاموس الدجالين حرية شخصية وقناعات معرفية وأسلوب وقائي وتقية، وهكذا يكون الانقلاب (يسمونه بغير اسمه).

وهذا ينطبق كل الانطباق على السياسة الاقتصادية الربوية التي أكد كتاب الله تعالى فشل المتعاملين بها في كل مقومات حياتهم الدينية والدنيوية، وأن كافة التنازح التي يلوحون بها كحل بديل إنما هي نوع من التخطيط الشبيه بتخطيط

الممسوس بالشياطين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ
الَّذِي يَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ولأن قضية الديانة تخفف في المراحل المتقوية والمتقلبة فإن الوسائل
والثقافات والرؤى المؤثرة على الديانة والمتدين تتقوى تنتشر كبديل لازم للعقول
والقلوب والمواقف، وبها يتحقق الدجل وينجح الدجاجة ويمتلكون زمام
التأثير والامتداد في الواقع الاجتماعي.

ومن قضايا الديانة التي تدخل سوق العرض والطلب مسألة التنافس على
الجاهات والوجاهات وامتلاك المنبر والمحراب ومجلس الإفتاء والتدريس
والثقافة والدعوة، وكلها تتحول بين يدي الدجال إلى وظائف بعد أن كانت
قضايا مصرية وشرعية خطيرة لا يتجرأ عليها ولا يستخدم نفوذها إلا المتمكن
من الإثبات تاريخياً، فالأجيال المتقوية في محاضن التعليم والثقافة والأكاديميات
تخف عندها الغيرة الشرعية لتتسابق على مواقع الإفتاء والقضاء والتدريس
والمنابر والمحاربي ويتوصل إليها بالخيالة والرشوة والمحسوبية والغش
والضغوط السياسية والاعتبارية، ويظل مدلول الصوت النبوي لمن بقي في هذا
الواقع يتردد صده: «يا عباد الله: اثبتوا»، وأما الذين لا يعينهم صوت النبوة ولا
يأتمرون لمفهومه المعنوي فصوت الدجل السائد هو صوت أرواحهم وقلوبهم

وحاضرهم ومستقبلهم، ويزداد الابتلاء بالإعراض عن صوت النبوة عندما يرد في الواقع المعاصر أهل النمط الأوسط ومن لهم سند متصل كبقية السيف وسادة الصلح الواعي.

فهؤلاء في الواقع المتناقض قد أفلست أوراقتهم لدى سيطرة العرض والطلب ولم يعد لهم نسبة من القبول إلا في الواقع الشعبي البسيط والبسيط جداً، وسبب ذلك ضعف مخرجات مدارسهم الأبوية وذويان الجمهور الأوسع منهم في ضبابية المراحل ومشاكل الحياة إضافة إلى ما وقع على رؤوسهم من معاول الهدم والنقض والإقصاء والبت والاجتثاث، فهم بهذه الحالة مشلولو الحركة في الواقع الجديد .

والواقع الجديد من مهماته الأساسية منافسة هذا النموذج التقليدي ولو كان مهزوماً محبطاً، ومع مناقشته من كافة الوجوه لابد من تشويه صورته وصورة المرتبطين به تاريخياً لتمكين أطر التجديد من نيل الأصوات والنفات الوجوه واستثمار المرحلة.. وقد فعلوا ذلك.. ومع هذا فلا بد من تكرار صوت النبوة ليصل الصدى إلى أبعد مدى، ولو بعد حين: «يا عباد الله اثبتوا».

وعباد الله هم كافة الشرائع الاجتماعية في واقع الشعوب، وهم أيضاً من بقي واعياً من سلالات وأتباع مدرسة النمط الأوسط من سادة الصلح وبقية

السيف، فبثاتهم والتزامهم طريق السلامة ما استطاعوا يظل صوت النبوة عالياً مدوياً متجدداً، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

إن كثيراً من ضحايا المرحلة ينهرون بهذا الطرح الجديد الغريب على الواقع كله ولكنهم قليلاً ما يصرحون بهذا الانبهار حتى لا تتهتز الصورة المؤطرة في جدران الواقع المسيس، ومنهم من يحاول إعادة العبارات ليفهم القصد الذي يتمخض عنه التوثيق، فلعل وعسى.

ولعل وعسى تختلف باختلاف القراء، فمنهم من يقبل الحق ويتمسك به ويشعر بانتمائه إليه، ومنهم من تتسع حدقاته للبحث عن مفاصل الضعف ونقاط الوهن التي ينتصر بها لمدرسة التمرحل المتحوصة في الذات.

والتمرchl في قاموس المدرسة الأبوية محصلات النقض والقبض التي أشار إليها ﷺ في أحاديثه بأنها وسائل الشيطان والدجال في احتناك الإنسان آخر الزمان، فهل بعد حديث رسول الله ﷺ من حديث؟ وهل بعد بيان رسول الله ﷺ من بيان؟ من مثله قوله: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلها

نقضت عروة تمسك الناس بالتالي تليها، أولهن: نقضاً للحكم، وآخرهن: الصلاة^(١)، ورُبَّ مصلٍّ لا أمانة له».

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبضه بقبض العلماء، فإذا كان ذلك اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»^(٢).

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها. قالوا: أين قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غشاء

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٥١/٥) من حديث أبي أمامة قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٤/٧) رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقوله: «ورب مصل لا أمانة له» ليس هو من تنمة الحديث إنما هو حديث آخر أخرجه الطبراني في الصغير (١٣٨/١)، ومن طريقه أبي نعيم في الحلية (١٧٤/٢) من حديث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقّى الصلاة، ورب مصل لا خير فيه» والحديث له شواهد هو بها صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٨/١) فتح ومسلم في صحيحه (٤٦٤/٢) والترمذي في السنن (١٣٩/٤) وابن ماجه في السنن (٢٠/١) والدارمي في الجامع (٨٩/١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وللخطيب البغدادي الحافظ جزء في طرقة.

السيل، يلتقى عليكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حُب الدنيا، وكراهية الموت» وفي رواية: «...تنزع المهابة من صدور عدوكم»^(١).

وقوله ﷺ: «لتتبعن سُنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(٢).

هل يا ترى قد غاب عن رسول الله ﷺ خبر فشل المنهج الصوفي ونجاح المنهج السلفي، فلم يعبر عنه بالخصوص؟ وهل غاب عنه ضعف أهل السُنَّة المذهبية ليحل محلهم أهل التشيُّع الذين يعتقدونه من جدارة البدائل لديهم؟ ولم يُشير ﷺ إلى هذه الجزئية في خصوص الخصوص؟

إن كافة المسميات المحتشدة على حافة الصراع المذهبي والطائفي لا تخرج عن مفهوم الغناء الذي وصف فيه الرسول ﷺ الزمان، ولم يستثنِ ﷺ صوفياً ولا سلفياً ولا شيعياً ولا سنياً ولا حزبياً ولا حكومياً، وإنما جمع الأطر المتنافسة كلها في مسمى (الغثائية) ومسمى (الوهن) و (حب الدنيا وكراهية الموت).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٣/٦) فتح ومسلم في صحيحه (٤٦٢/٢) وأحمد في المسند (٨٤/٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

وكل هذه الصفات تشير إلى ضعف المخرجات الفكرية دون المخرجات
التعبدية لكل طائفة ومذهب، والمخرج من الإشكال للجميع أن يوجد ويبرز
الأبطال القادرون على إيقاف نزيف الدماء وصراع المسميات والأسماء وإعادة
شرف العلم والحلم الذي سار عليه رجال النمط الأوسط أنفسهم، سواء من
حملة السيف المقاتلين به أو بقية السيف المقتولين به، فالقتل بين الفريقين لا يعالج
قضية ولا يحل إشكالاً بل يخدم سياسة التسعير الإبليسية بين الشعوب، كما أنه
يترك المحيين والمبغضين يدفعون بالشعوب نحو الهاوية والهلاك على غير تبصرة
أو بيان شرعي، ويعد بلا شك تحاذلاً وفراراً من الزحف المشروع.

وما كتابي هذا - على ما أرجو إن شاء الله - إلا مساهمة في إعادة المياه إلى
مجارياها وتقرير واقعي للخروج من دوامة الهلاك المحقق إلى فسحة الإسلام،
ومنهجية الوارث للنبي محمد خير الأنام من آل البيت الأطهار ومن ارتبط بهم
وأخذ عنهم منهجية الوسطية والاعتدال الواعي من غير إفراط ولا تفريط.

وأما المحبون فليسوا ورثاءً، وإنما هم محبوبون للورث، وهم ما بين محب غال
ومفرط وما بين معتدل أو متردد، والثقل الأكبر والأصغر إذا اتلف رجاله
تحققت النجاة ومخرت السفن في بحر الأمان والإيمان، ولا غير هذا أبداً، وأقول:
إن الصراع المذهبي والاعتقادي والطبقي والطائفي إنما هي مخرجات شيطانية

دجالية لا تمت للإسلام ولا الغيرة عليه ولا حتى لإعادة الحق إلى نصابه، وغالباً ما يتبناه الأغرار والأشرار والمندفعون أو المنتفعون المالكون.

ولن ينعم آل البيت من فريق الشيعة وآل البيت من أهل السنة ولا غيرهم من الطوائف المتنازعة بأمن ولا أمان ولا ديانة ولا عبادة ولا حتى ضمان للموت على حسن الخاتمة إذا ظل صراع الثارات رائداً ولهب الطائفيين قائداً.

لأن هذه الأساليب حيل الشيطان لدمار الجميع، وهي المرآة العاكسة في كل مرحلة وسائل الشيطان في الشعوب سواء كانت شعوباً مسلمة أو شعوباً غير مسلمة، فالصراع والتكتل عين النجاح لسياسة الدمار لدى إبليس وبه تحقق مقتل هابيل في سابق التاريخ.

وبه أيضاً عرفت اليمن كمثال تفعيل الصراعات بين الثوار الأحرار كتلة ضد الأخرى في أيام الحرب الأهلية، وكذلك كتلة ضد الأخرى في السلم والتنمية، وهذا يضع الحق بين الفريقين ويستثمر الشيطان كافة الجهود لهلاك المجتمعات جيلاً بعد جيل وتاريخاً بعد تاريخ.

لقد بذل الكثيرون من العلماء جهداً ووقتاً في ترجيح مذهب ضد آخر أو رفع مستوى مذهب على مذهب آخر ليزداد أتباع كل مذهب حرصاً على ترويح المكائات والأسبقيات التي يتم فيها نوع التنافس والتميز، وقد تسر لي في إحدى

المرات حضور اجتماع لأحد العلماء المالكية وهو يتحدث عن شرف مذهب الإمام مالك ومكانته بين المذاهب مما أثار بعض أتباع المذهب الشافعي الذين كانوا في ذلك المجلس، وظهر ذلك على الوجوه والأحوال، حتى إن عدداً منهم ساعة انفضاض المجلس يود أن تهباً الفرصة لأحد علماء الشافعية ليتكلم عن مكانة المذهب الشافعي وانتشاره أكثر من مذهب مالك.

وهذا وحده كفيل بإثارة النفوس داخل منهنج أهل السنة وحدهم لسوء أساليب الأطروحات بين المذاهب ذات القواسم المشتركة، فكيف بما ينزع إليه الانفعاليون في تفعيل الصراع بين الذين تتباعد قواسمهم المشتركة.

وسبب هذا وذاك انعدام الوعي الشرعي في احترام الرأي المخالف وقوة تأثير الطبع الذاتي في الإصرار على هزيمة الند فضلاً عن الضد المخالف، وهذه مسائل طبيعية بحتة، يمكن للشيطان بها أن يوسع دوائر الصراع المسمى في القرآن بالبغى ﴿وَأَيُّنَّهُمْ يَبْدِئُ مِنَ الْآثِمِ قَلِيلًا مَّا تَدْرِكُونَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وقد كان مثل هذا أو قريباً منه في ماضي العصر العباسي وما تلاه، حيث بلغ التعصب مبلغه في العلماء ضد بعضهم البعض، فالمظفر الطوسي الشافعي يقول:

«لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الحنابلة الجزئية»، وقوله محمد بن موسى الحنفي: «لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزئية»^(١).

والبغي بين طلبية العلم وحملة الشريعة عامل خطير من عوامل الانتهاك باللسان والقلم أو الإعلام أو غير ذلك، وهو أيضاً سبب الهلاك إذا ارتفع إلى مستوى التنافس على الجاه والخطام، وبه بشر النبي ﷺ الأمة بالهلاك إذا اتخذته أسلوباً وطريقة وعادة سواء في العلم أو في الحكم أو في الاختلاف فيها وعليهما «لست أخشى عليكم الفقر» وفي رواية: «الشرك، وإنما أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكتم من كان قبلكم»^(٢).

والهلاك ثمرة التنافسات التي تدور بين أهل الملة الواحدة والدين الواحد، ولا حجة لأحد من الفريقين على الآخر ما دام الأمر قائم على التنافس حتى يتم تنازل جهة لأخرى، والمتنازل هو الشجاع من كل وجه كشجاعة الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه في تنازله المشرف لذاته، والحافظ من وجه آخر أهل بيته، والمؤيد بالنص الشرعي بقوله ﷺ «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به»، وهذه

(١) راجع مقدمة كتاب أسد حيدر (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة)، الجزء

الثالث.

(٢) تقدم تخريجه.

ميزة عظيمة أن يكون النزاع من عند الله علاجاً لإيجاد الصلح وأيضاً تثبيت
لسلامة الفريقين داخل الخيمة الإسلامية (فريقين من المسلمين) وهذا نص
خطير جداً في فقه التحولات يحسم مسألة كثر فيها اللجاج وهي دخول الفريقين
في قاسم مشترك بالنص النبوي وهو الإسلام، ولو كان القتال حلاً من حامل
القرار الشرعي كما يدعو إليه الأتباع والأشباع في كل مرحلة، فلن تطلق هذه
المسميات العظيمة على الصلح وداعية ودواعيه.

لقد أعمى الاندفاع الأبصار والبصائر حتى لم تعد الأبصار ترى إلا صور
الأعداء وشعارات الانتقام ولا تدرك البصائر غير ما يدعو إلى الهتك والفتك
والدماء وإرواء الحقد المتأجج بالأحداث، ولو تبصرنا وأبصرنا وأعدنا النظر
والفكر في مخرجات النصوص المؤكدة سلامة الداعين إلى الصلح واتسع الإدراك
قليلاً لوجدنا أن الفريقين قد اصطالحا فيما مضى على ما قرره الإمام الحسن ثم
نقض هذا الصلح لسبب وآخر، وامتد شر اختلافهما ونزاعهما وصراعهما حتى
اليوم، وأن العبارة النبوية جديرة بإحياء المعنى القائل: «وسيلص الله به بين
فئتين من المسلمين»^(١) إلى يوم الدين، فالموقف الذي اتخذته الحسن لا موقف
ينقضه ولا يغيره، وكلما رجع الفريقان من أهل السنة والشيعة إلى صلح الحسن

(١) تقدم تخريجه.

ودراسته وتطبيقه بصور شتى ومعان سديدة لعرف الجميع عالمية المعنى واستمراريته، وهذا هو الحق الذي نهجه فريق السلامة من أهل النمط الأوسط. وليس في هذا الموقف غمط لموقف الإمام الحسين ولا اعتراض على اجتهاده، فموقفه عدل واجتهاده صحيح، وخروجه قائم على أسسه الصحيحة لدى أهل الاجتهاد المشروع، ولكن هذا الحكم لا يتعداه إلى غيره ولا حجة للآخرين في الأخذ عبر تاريخ الإسلام المتحول بالتأثر من عموم المصلين، لأنهم كما يقولون كانوا من أهل السنة ولم يكونوا من الشيعة، أو أن أهل السنة كانوا شركاء في دم الحسين، فصار تحاذل الشيعة يوم مقتله وتأخرهم عن نصرته دعوة للأخذ بالتأثر من عساكر الملك العضوض بخول لهم أيضاً محاربة المذهب السني الذي لا ناقة له ولا جل في المعركة، لأن المذهب السني كما يعتقدون كان ثمرة من ثمرات حكم الملك العضوض، وهذا محض افتراء وجهل بالوقائع والأحداث، وفساد في قراءة تاريخ أهل البيت فضلاً عن قراءة تكوين المذاهب ذاتها.

ولأن القراءة السياسية تنبع دائماً من دجل السياسة وسياسة الدجل فلا بد أن يكون تعليلها تحريش وإثارة، أما قراءة الأحداث من النصوص ومواقف الرجال ذواتهم تحت الالتزام بها هو معلوم من الاقتداء والاهتداء في الإسلام

فلا بد أن تنشئ هذه القراءة الحدود الفاصلة بين أهل السنة من النمط الأوسط وأهل السنة من أتباع الملك العضوض، وكما يميز أهل التشيع الواعي عن أهل الإفراط والتفريط والتسييس من أتباع الرافضة والسبئية ومن شاكلهم، من المواقف والتعليقات المعلومة في كتبهم ومصنفاتهم، وهكذا يكون العدل والإنصاف.

وهذا ما نحن بصدد: إنه إعادة القراءة الواعية للنمط الأوسط في كل مذهب ومنهج ودعوة، وهو الموقف الذي يليق بنا أن نردد معه مقولة النبي ﷺ: «يا عباد الله: اثبتوا...»^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٧٢/٢) والترمذي في سننه (٣٤٦/٣، ٣٤٧).

وابن ماجه في السنن (١٣٥٦/٢) من حديث النّوّاس بن سميّان.

مسك الختام

ها أنذا أختتم كتابي وأنا أشهد مع غيري من المهتمين بشأن التحولات حال المسلمين أجمعين وما يعانونه من إحباط وشتات وحرب نفسية وإعلامية واقتصادية من جهة.. وحرب عسكرية متنوعة الجبهات والوسائل من جهة أخرى.

كما أشهد التوتر الطائفي والعرفي والقبلي في أكثر من بلد ومجتمع.. بل زاد الأمر تعقيداً ما يعيشه الجميع من غلاء في الأسعار، وهم وغم في نفوس الرعايا المأسورة في الأرياف والمدن وهم لا يجدون المخرج العملية من هذا الاحتقان الاقتصادي والفكري؛ إلا ما تمليه عليهم شاشات التسييس.. وتنهدات الأباليس.. وإن وجد شيء من التنفس والتفاؤل فلا يتجاوز حال الفرد المؤمن الصابر، أو محاولات المخلصين المحدودة في مكان ما دون دون آخر لإيجاد علاج محدود وتجاوز باب موصود.

ومع هذا وذاك فمفرزات الثقافة المتحولة تفرض على الكثير من أهل عصرنا السؤال التالي: إلى متى والأقلام لا تدور ولا تكتب مع ما نحن فيه ونعانيه إلا عن أهل البيت وقضية آل البيت كأن هذه هي القضية الكبرى؟ أليس الإسلام

هم الجميع وهدف الجميع؟ شغلتمونا اليوم وقبل اليوم بهذه القضايا الجزئية التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟

أليست الأمة محتاجة إلى إنهاض من ألفها إلى يائها؟ أليس في أجنحة الحركة الحكومية والسلفية والحزبية والشيوعية من يرغب مثلكم في خدمة الإسلام وجمع الأمة على شيء من قواسمها المصيرية كمطلب شرعي للجميع دون الحاجة لتعيين عائلة أو سلالة أو أسرة؟ لماذا لا توجه الأقدام والهمم لإعادة الترتيب الواعي على صورته الإسلامية العامة.

وأشياء أخرى.. ومناقشات تترى.. وأقول: بلى والله.. إن كل هذه الأسئلة والاستفسارات مهمة وفي موقعها، على ما فيها من العموميات والنظر للأمور بعين التحرر النفسي عن الإلزامات والالتزامات.. وغالبا ما نسمعها من الحريصين على الترتيب وحسن الإعادة للواقع المضطرب ممن ولدوا ودرسوا وتخرجوا في أتون الواقع المضطرب ونحن جزء منهم ومن الواقع المضطرب ذاته، وهي بلا شك دفعة صحيحة لقلمي وذاتي ووقتي لأسعى مع كل خير في هذا السبيل الإسلامي الواعد، بل هو والله شغلي الشاغل مذ عرفت نفسي على منبر الدعوة إلى الله تعالى مع اعترافي بعدم أهليتي وسوء جرأتي على هذا المنبر العظيم.

ولكن والله يعلم أن الحالة الراهنة فينا نحن الدعاة والرعاة وما نعيشه في دوائر الذوات والأسر والعائلات، وما نعاينه من الأتباع والأشياع من التجاوزات والتبعات، وما يتشتت علينا به من الوقت والجهد في لم شعث هذا وإعادة ترتيب ذلك.. وصرف الوقت والجهد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في داخل دوائر الذوات وتربية البنين والبنات.. وداخل أقبية البيوت والأربطة والعائلات ذات الانتفاء للمدارس الأبوية التقليدية، كل ذلك قد استنفد علينا الأوقات والهمم والقدرات.

حيث وجدنا حالنا كله في ألفه إلى يائه منذ فتح أبواب المرحلة الجديدة للعمل الدعوي أنه مخترق من كل الجهات.

مخترق من الشيطان والنفس والهوى وحب الدنيا.. ومخترق من الطباع وركام العادات والأهواء.. ومخترق بالحملات الإعلامية والعالمية.. ومخترق بالأساليب التعليمية الهشة.. ومخترق بالواقع المادي المحبط الذي لا يقيم أمر الفرد ولا الأسرة.. ومخترق بالتراكمات السياسية السلبية التي عملت على إنجاح النواقض الفكرية والاجتماعية.

وهذا اتسع الخرق على الراقع.. ولا نجد أنفسنا أمام هذا كله إلا ضعفاء
منهكين غير قادرين على أن نبذل أكثر مما بذلناه.. وأن نقول أكثر مما قلناه في محيط
الأمثال والأشباه.

ولكن ومع ذلك نحن في حاجة إلى الآراء الحكيمة والعقول السليمة من كل
عقل حصيف منصف، وما تبيأ لنا من واقع الحركة المحدودة فهو إن شاء الله
مبارك ومثمر.. وما فاتنا وقصرنا عنه لسبب أو لآخر فلا نجد بأساً أن يدلنا عليه
غيرنا من دائرة المجموعات الواعية في كافة مواقع الحركة الإسلامية المعنية
بالأمر المشار إليه بالنمط الأوسط.

فهدفنا واحد وإن كانت مساعيها متنوعة، فلنقرب المسافات ولنعمل على
إذابة الجليد المتراكم بفعل برودة الطباع وكثرة زوابع الصراع والنزاع، فالوقت لا
زال فيه فسحة.. وخير لنا في هذه الحقبة من الزمن أن نلم الشعث ونقارب
وجهات النظر وبرز لهذا العمل من إخواننا المخلصين من يؤازرنا في ذلك.

فلسنا في تأليفنا وكتابتنا واجتهدنا الدعوي والكتابي مقتصرين على الذوات
والذاتيات أو كما يعتقد البعض بأننا شغوفون بقضية الترويج لآل البيت دون
غيرهم من المسلمين في المجتمعات.

فالقائل لهذه العبارات عجل في الحكم على غيره أو هو هادم كل محاولة صحيحة لإيرادها من زوايته ونظراته وإن كانت نظرة غيره صحيحة أو غير نافعة في الواقع العام.

إنني أختم كتابي هذا وأمامي من التصورات المتنوعة ما يتسع المجال لإثباته هنا.. ولكن أقول الحقيقة من حيث عرفتها وأستسمح الآخرين إن لم يولوا فهمي لهذه الحقيقة اعتباراً من وجهة نظري.. فأنا أقدر الرأي الآخر وإن كان مخالفاً لي.. ما دام يدور معي في دائرة البحث عن إصلاح ما فسد من الواقع الخاص أو العام.

أقول: إن الأمة إلى خير بعمومها.. وإنها تكاد أن تخرج من مرحلة الاستئثار إلى مرحلة الاستنفار.. وللاستنفار علله وتجاوزاته..

ولكنها بداية الخير.. من واقع يسعى إلى الخير.. وأنا متفائل.. برغم ما قد أُجِبْتُ هنا من صور التشاؤم المتنوع.

إن المستقبل القريب يهيئ هذه المجموعات المتنازعة المتصارعة في أمر الدين إلى الائتلاف على القاسم المشترك.. (النمط الأوسط).. وكل بلا شك يرغب ويرجوه.. ما عدا من أبى.

ومن يأبى فمجاله مفتوح.. وله من الله - إن كان صادقاً - عون وحجة..

ولابد أن يُكون (النمط الأوسط) كما هو في ثوابته العامة وسيلة من وسائل المعالجة وهو المنقذ والمنفذ السديد إلى تحقيق (الاستنفار) الواعي.. بديلاً عن هذه الأصوات الاستسلامية المتقابلة في القوالب الرسمية وشبه الرسمية.. إنه صوت (الشعوب) المسلمة المتجردة عن التسييس والمتجردة عن العنف والحقن والانتقام.

وهأنذا أدعو هنا جميع الراغبين في السلامة على مفهوم (النمط الأوسط) إلى مناقشة هذا الأمر على بساط الاستعداد لمرحلة قريبة آتية، وإنَّ غداً لناظره قريب..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

٥	المطلع القرآني
٦	المطلع النبوي
٧	المطلع الأبوي
٨	شاهد الحال
٩	الموقف الذاتي من الأحداث
١٠	الإهداء
١١	مفتاح الباب لأولي الألباب
١٢	أ- فتح باب الكلام داخل أقبية الصامتين
١٢	ب- آل البيت بين إفراط المحبين وتفريط المبغضين.
١٤	ت- الواقع الذي يجمع التحدي والتعدي.
١٥	ث- هذه الوريقات تهم الراغبين في النجاة والسلامة فقط.
١٩	ج- الكتاب والسنة يفتقران إلى المعادل الثالث في التطبيق (النبوة)
٢٠	ح- أهل التفريط تجرؤوا على الإمام الحسن، وأهل الإفراط خذلوا الإمام الحسين.

٢٦	أهل الكساء
٢٨	المؤلفات الجديدة عن آل البيت وحقوقهم
٣٠	فقهاء الأمانة وفقهاء الخيانة
٣٢	الثلاثة الحلفاء وموقع فقهاء الخيانة منهم
٣٥	مسألة المظلومين من آل محمد.
٣٧	أحفاد الصلح الواعي وبقية السيف في أسواق العرض والطلب.
٣٨	ثقافة بقية السيف وسادة الصلح ومنطلقاتها.
٤٠	الإفك المسيس وخَلَط الأوراق
٤٢	خطبة الإمام علي رضي الله عنه في أتباعه.
٤٤	أقوال الحسن بن علي في أهل زمنه
٤٤	تزهيد الإمام الحسن لأخيه الحسين في القرار
٤٥	مقولة الإمام علي زين العابدين.

٤٦	المدارس الأبوية ومرحلة الغناء المسيس
٤٦	من الواجب معرفة فقه الترقى في مراتب الإسلام والإيمان والإحسان
٤٦	تجفيف منابع هذه الثقافة الأبوية بالثقافة المتحولة.
٤٧	ضرورة دراسة (صلح الإمام الحسن) كمنهج.
٤٩	لا نلزم أحداً بثقافة بقية السيف وسادة الصلح
٥٣	هل لدى آل البيت المعاصرين حلٌّ يلوحون به في مرحلة العولمة؟
٥٥	قراءة بقية السيف لصلح الإمام الحسن والخروج من الانتقام الوهمي
٥٨	أين موقف الجميع من قراءة علامات الساعة وفقهها.
٦٢	مدرسة حضر موت جزء من بقية السيف، وموقفها من مدارس الإفراط
٦٣	بقية السيف (علي زين العابدين بن الحسين)
٦٣	وضع الإمام علي زين العابدين فقه بقية السيف
٦٤	أشهر المنتسبين لمدرسة الإمام علي زين العابدين.

٦٦	علي زين العابدين وقصة الفرزدق
٦٧	ترسيخ الإمام علي زين العابدين مواقف أتباعه من القرار العضوض
٦٨	مدرسة الإمام علي زين العابدين (مدرسة النمط الأوسط)
٦٩	مدرسة الزهد وعدم المطالبة بالحكم
٧٠	مدرسة الخروج والمطالبة بالقرار
٧٢	مذاهب إسلامية أخرى
٧٥	منهج النمط الأوسط
٧٩	مقولات أئمة النمط الأوسط أمام الأحداث والتحولات
٨٣	الفرق بين مقولات النمط الأوسط وأقلام الفتن
٨٦	لابد من كشف بعض الأوراق لضرورة السلامة
٨٧	الموقف المتطرف يتناه ثلاثة أنباط
٩٠	مجموعات القدوة الحسنة التي يجب أن نتعرف عليها
٩٢	تميز الإمام علي رضي الله عنه في أمور مهمة
٩٥	مواقف أئمة آل البيت تعادل الاجتهاد القائم على النص

١٠٣	فقه القرار وموقعه من التحريش والسلامة
١٠٣	ما هو القرار؟ وما هي السياسة؟ وما هو التسييس؟ وما هي السياسة؟
١٠٥	السياسيون الأولون كان ضابطهم الالتزام بشرعية الوحي والاجتهاد
١٠٦	لا بد من التفريق بين مواقف الأئمة من النمط الأوسط والأئمة من طرفي الإفراط والتفريط
١٠٧	القراءة الواعية لمواقف رجال النمط الأوسط جزء من قراءة أدب النبوة
١١٥	ظاهرة الانسلاخ عن النمط الأوسط لدى الأتباع
١١٥	بتغير المراحل تبرز ظواهر جديدة
١١٧	أسباب انسلاخ العشرات من أتباع النمط الأوسط إلى ما يعارضها
١٢٢	هل سلمت مدرسة النمط الأوسط من الجنوح
١٢٣	أهل النمط الأوسط جزء لا يتجزأ عن أمة الإسلام
١٢٥	فلسفة داء البغضاء والحسد لدى المدارس المعارضة

١٢٤	نحن نعترف بالخطأ ونعمل على إصلاحه
١٢٥	المدارس المعارضة للمدرسة الأبوية
١٣١	المساهمة في رفع حجب الشك المحيطة بالنمط الأوسط
١٣٢	الحوار السياسي والتنازلات
١٣٤	مدرسة النمط الأوسط ليس لها مصلحة في تقاسم أدوار القرار
١٣٥	المذهبية الإسلامية ورقة في مهب الريح
١٣٦	آثار اقتسام تركة الرجل المريض
١٣٩	هل بعادي أهل النمط الأوسط أحدًا في المراحل؟
١٣٩	من صفات أهل علم الإحسان عدم توريث العداوة
١٤٥	ضرورة قراءة فقه التحولات
١٤٨	الركن الرابع من أركان الدين وعلاقته بمنهج النمط الأوسط
١٤٨	مواقف أئمة النمط الأوسط من قراءة الركن الرابع
١٥٤	السيدة عائشة وماء الخوآب
١٥٦	موقف الإمام علي رضي الله عنه من السيدة عائشة
١٥٩	المحافظة على دماء الشعوب مهمة ضرورية لدى النمط الأوسط

١٦٢	المناهج الأبوية والمواقف المأخوذة عليها
١٦٢	موقع المذهبية والصوفية وآل البيت من المدرسة الأبوية
١٦٥	عهد الغثائية عهد سماء رسول الله ﷺ
١٦٧	القراءة الواعية للأصلين: الكتاب والسنة
١٦٨	موقع الناظرين لآل البيت من نظرة العرق والطبع نموذج إبليس
١٦٩	الأصل الرابع في الديانة يثبت شمول العناية في المراحل المتحولة
١٧٠	مدرسة النفاق في المدينة وأثرها
١٧٣	طرفي الإفراط والتفريط وموقعهما من الضلالة
١٧٨	خدمة المال الحرام قاسم مشترك بين المصلين
١٨٣	العود إلى إيجابيات المدرسة الأبوية ضرورة ملحة
١٨٤	حيثما كان الخلل والانتهاء كان الخلل في الواقع
١٨٤	من لا دين له على الوجه السليم لا انتفاء له على الوجه السليم
١٩٠	الذين حملوا أمانة القرآن مهمتهم في العالم ثقيلة ثقل القرآن ذاته
١٩٢	نكبة عالمنا المعاصر
١٩٢	قراءات الشيطان المستجدة لطمس الأبوة

١٩٦	إقامة الدليل على فساد الأقاويل المتبادلة بين أهل الأباطيل
١٩٦	مهمتنا آل البيت
١٩٨	نحن لا ندافع عن القتلة ولا الظلمة ولا حكام المُلْك العَضُوض
١٩٩	وصف الإمام علي رضي الله عنه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٠١	آل البيت أمناء على النصوص وأمناء على المواقف
٢٠١	مفهوم الفتان العظيمتان اللتان يصلح الله بينهما بالحسن رضي الله عنه
٢٠٣	مواقف الخليفة الثانية مع الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢٠٤	الخلاص من طرقي الإفراط والتفريط
٢٠٦	من هم الخلفاء الراشدون؟
٢١٢	النمط الأوسط بريء كل البراءة من تبعات الأحداث التاريخية المسيسة
٢١٢	وجوب قراءة التاريخ الإسلامي بعين فقه التحولات الشرعي
٢١٣	باب التفريط أوله مقتل الخليفة الثاني ثم مقتل الخليفة الثالث
٢١٥	ما تتميز به مدارس الإفراط والتفريط
٢١٥	ما تتميز مدرسة النمط الأوسط
٢٢١	التحريش في مرحلة الغناء

٢٢٣	يا عباد الله: اثبتوا..
٢٢٤	المرحلة الدجالية متميزة بخفة في الدين
٢٢٦	عباد الله هم كافة الشرائع الاجتماعية
٢٣٠	المحبون ليسوا وراثاً وإنما هم محبون للوارث
٢٣٢	انعدام الوعي سبب تدخل الشيطان ووكلاؤه
٢٣٥	قراءة النصوص بين تأثير السياسة والدين
٢٣٧	مسك الختام
٢٣٧	تقرير الحالة السائدة
٢٣٧	الأمة محتاجة إلى إنهاض من ألفتها إلى يائها
٢٣٨	حالتنا نحن الدعوة والرعاة تحتاج إلى تقييم
٢٤٠	هدفنا مع غيرنا واحد وإن كانت مساعيها متنوعة
٢٤١	الأمة الإسلامية إلى خير
٢٤٢	النمط الأوسط هو المنفذ السليم إلى الاستنفار الواعي